رجالة الهانم

محمد إبراهيم طعيمة



بطاقة فهرسة

أي تشابه أو تطابق بين أحداث أو أبطال الرواية الخيالية وبين بعض الأشـــخاص في الحقيقة غير مقصود بالمرة.

مكتبة جزيرة الورد

اســـم الكتاب : رجالة الهانم

المــــــــؤلف : محمد إبراهيم طعيمة

الغـلاف إهداء: من الفنان عمرو عكاشة

مراجعة لغوية : هبة عبد الهادي

رقـــم الإيداع :



الطبعة الأولى 2012

إهداء

إلى والدي العظيم ... إبراهيم أبو طعيمة ... الفلاح الذي زرع بداخلي كثيراً من صفات الكرم والصبر والشجاعة والثقافة ... إلى والدي العامل البسيط الذي عانى كثيراً وكافح حتى يعلمني ويجعل مني رجلاً يفتخر به ولكنه رحل ... رحل قبل أن يفرح بي ... وقبل أن يحصد ثمرة زراعته ولا مقابل كفاحه ومعاناته ...

إلى والدي أهدي هذا الكتاب

مقدمة

لا أعلم لماذا خطر على بالي مشهد تكريم الزعيم «عادل إمام» في فيلم «مرجان أحمد مرجان» عند تكريمه على كتابه «أبيع نفسي» بخاصة عندما وقف يقول .. «إن أبيع نفسي لهو عصارة الأمل.. وأي أمل»، وتذكرت نفسي.. هل أقول أيضًا إن «رجالة الهانم» لهو عصارة الأمل لكني قررت أن أتحدث عن الكتاب ببساطة.

فخلال عام أو يزيد قضيتها في العمل على هذا الكتاب الذي سهرت ليالى طويلة في تجميع مادته وسافرت من أجله إلى المنيا أربع مرات، قابلت الناس هناك.. تحدثت إليهم.. تقصَّيت الحقيقة.. عرفت طباعهم.. عاداتهم وتقاليدهم.. ومن أجله سافرت أيضًا إلى المنوفية ثلاث مرات لأعرف مزيدًا من التفاصيل حول بطلة الكتاب التي عاشت هناك لفترة، ومن هناك إلى بلبيس حيث جمعت الكثير من المعلومات عن الفترة التي عاشتها «هانم» هناك وهو ما سردته في الكتاب.

هذا الكتاب هو رصد لقصة صعود «هانم» هذه الفتاة التي لم تكن تحلم سوى بأن تكون مضيفة في شركة مصر للطيران، وتتزوج من طيار، وتنجب أطفالاً تعلمهم وتربيهم.

لكن القدر كان له ترتيب آخر، فقد أصبحت بين ليلة وضحاها «الهانم» زوجة رئيس أكبر وأهم «شركة» في المنطقة.. فانقلب حالها وتجبَّرت وتنكَّرت لكل من وقف بجانبها وساعدها يومًا ما، وظهرت عُقدها القديمة وبدأت تنتقم من الجميع. حاولت في هذا الكتاب ألا أظلم «الهانم» وألا أصدر أحكامًا مسبقة عليها، وتركت ذلك الحكم لك أنت عزيزي القارئ.. حاولت قدر استطاعتي أن أرصد قصص الحب التي عاشتها والرجال الذين تعرفت عليهم طوال حياتها وكيف أثّروا في تفكيرها وقراراتها.

حاولت خلال فصول الكتاب التي تصل إلى 13 أن أركِّز على الجزء الخفي في حياة «هانم» ذلك الجزء الذي عاشته قبل أن تصبح «الهانم» حرم رئيس الشركة، ذلك الجزء من حياتها الذي رسم شخصيتها وأثر في كل قرارات حياتها، وحاولت الابتعاد عن الفترة الأخيرة التي كانت معروفة للجميع.

وفي النهاية أتمنى أن يخرج حكمكم على «الهانم» حكمًا عادلاً بعيدًا عن الشفقة والرحمة، وبعيدًا أيضًا عن الحقد والكراهية.

محمد إبراهيم طعيمة

القاهرة / فبراير 2012

1

«هانم»..هذا هو الاسم الذي اختارته لها والدتها يوم مولدها..فقد أقنعت والدها بصعوبة بهذا الاسم.. حيث كان يفضل أن يسميها أحد الأسماء التي انتشرت في هذا الوقت مثل «سوزان» أو «سوزي»، ولكن الأم كان لها نظرة أخرى للموضوع، حاولت أن توضحها للأب حينما ثار قائلاً:

– «هانم» إيه دي اللي أنتي عايزة تسميها للبنت..ده اسم قديم وبلدي..مش عارف لحد دلوقتي أنتي إزاي تفكري في اسم زي ده..معقولة ده تفكير واحدة اتولدت وعاشت سنين في لندن.

– الموضوع مالوش علاقة بلندن ولا مصر..الحكاية إني حلمت أن البنت دي هتبقى «هانم» وأهم «هانم» في مصر كلها..وكمان أنت نسيت العرَّافة اللي قابلناها في لندن بعد زواجنا بأسبوع مش قالت إن ولادنا هايبقوا حاجة مهمة وإن اسمنا هايتخلد في الدنيا.

– وهو علشان هتبقى حاجة مهمة نقوم نسميها «هانم».. بصراحة أنا مش موافق خالص على الاسم ده يا «ليلى».

وبعد محاولات مضنية استطاعت «ليلى» أن تقنع زوجها الدكتور «صالح» بالاسم الذي ظل رافضًا له حتى وفاته.

وهكذا انتهت مشكلة الاسم بين الدكتور «صالح» وزوجته «ليلى» بعد ساعات من ولادة طفلتهما الأولى.

وكان الدكتور «صالح» ابن عم ساكت... خولي عزبة حلمي بالمنيا، قد حضر منذ عامين فقط إلى المنيا بعد عدة أعوام قضاها في لندن لدراسة طب الأسنان هناك..

وقبل أن يسافر «صالح» أو يدرس الطب كان يجلس مع أبناء الباشا في القصر وكانوا يعطفون عليه ويعاملونه كأنه ابن لهم، خاصة أن والده قد مات في خدمتهم، حتى إن الباشا عندما فشل «صالح» في دراسته ولم يتحصل على مجموع يدخل به الجامعة قرر أن يتكفل بمصاريف سفره إلى الخارج لدراسة الطب هناك، ولأن الدنيا دائمًا لا تعطي للإنسان كل ما يتمناه، فقد توفى الباشا في العام التالي لسفر «صالح» إلى لندن، وانقطعت المعونة، وكان «صالح» بين خيارين لا ثالث لهما.. الأول أن يعود إلى مصر بخفي حنين، والثاني أن يستكمل تعليمه ويعود وهو دكتور، وكان الخيار الثاني.

قرر «صالح» أن يعمل..أي عمل يتحصل منه على أجر يساعده على العيش واستكمال التعليم، وبعد أيام من البحث والفشل في العثور على وظيفة هداه تفكيره أن يسأل أحد أساتذته وقد كان، فبعد قيام «صالح» بشرح ظروفه إلى أستاذه، قرر الأستاذ أن يساعده وأن يوافق على عمله في عيادته الخاصة في فترة المساء..وجدها «صالح» فرصة ليدرس في الصباح ويعمل في المساء وفي مجال تخصصه..لكن ما الوظيفة التي اختارها له أستاذه؟.. «تمرجي».

- وهل يصح يا «صالح» أن تعمل «تمرجي» وأنت ربيب بيت الباشا؟!.

- الباشا أهو مات وسابني وحدي في الدنيا، سابني معلق بين السما والأرض، لا هو سابني «صالح بن ساكت الخولي»، ولا هو كمل جميله وخلاني ابنه وساب لي ورث.

- طب والعمل هاتعيش تعيط ع اللي فات ولا تفوق لنفسك كده، قبل ما تضيع خالص.

- يعني أعمل إيه؟!.

- يعني توافق على الشغلانة وتصبر كده وتستحمل لحد ما توصل لهدفك.

كان هذا نص الحوار الذي دار بين «صالح» ونفسه في الغرفة التي استأجرها لنفسه في مقاطعة «ويلز»، حيث وافق على العمل «تمرجي» بعيادة أستاذه بعد انتهاء المحاضرات الخاصة به.

وذهب «صالح» إلى عيادة الدكتور التي لم تكن تبتعد كثيرًا عن مقر سكنه، وفي اليوم الأول قابلها.. «ليلى» السكرتيرة الخاصة للدكتور «چون» والممرضة الوحيدة بالعيادة..يبدو أنها من سكان المدينة الأصليين.. جمالها عادي.. وملابسها أيضًا عادية.. لم تكن تنم عن أنها ابنة أناس أثرياء.. ورغم ذلك كان لديها جاذبية غريبة..تبادل معها «صالح» تحية المساء وردتها عليه.

-أنا «صالح» تلميذ الدكتور «چون» وسوف أعمل معكم هنا.

- أهلاً..أنا «ليلى».. ممرضة العيادة - ولقد أخبرني الدكتور بالأمر.. تفضل معي لأعرفك طبيعة عملك وأسلمك الملابس الخاصة بك.

وذهب «صالح» واستلم البالطو الخاص بالتمرجي وجلس يستقبل المرضى، وشعر «صالح» عقب انتهاء أول يوم عمل أنه سيعمِّر في هذه المهنة، فالدكتور يعامله باحترام وبالتأكيد سيراعيه في أعمال السنة - و«ليلى» تعامله برفق - كما أن الدكتور وضع له راتبًا يكفي احتياجاته.

وبدأت حياة «صالح» تنتظم مرة أخرى - في الصباح يحضر محاضراته وبعد الظهر يستذكر دروسه - ويرى إن كان لديه ملابس متسخة يقوم بغلسها، وفي المساء يذهب إلى العيادة ولا يعود إلا متأخرًا فينام لكي يلحق بمحاضراته في اليوم التالي.. وسارت حياة «صالح» على هذا النمط حتى حدثته نفسه ذات ليلة بأمر ندم عليه بعد ذلك وضرب نفسه عليه «مائة جزمة» كما كان يقول لنفسه فيما بعد.

- «ليلى».. نعم هى لما لا أتزوجها؟.. تغسل لي، تطبخ، تساعد في مصروف البيت والدراسة.. وأحصل على الجنسية الانجليزية.

- ولكن كيف تتزوجها؟.. ومن أين تأتي بالشَّبْكة والمهر ومصاريف الزواج؟!.

- مصاريف زواج إيه يا عم «صالح» وشبْكة إيه ومهر إيه.. أنت فاكر نفسك في مصر.. إحنا هنا في لندن.. مفيش كلام من ده.. المهم إن هى بس توافق وبعد كده كل شيء سهل.

- هى ممكن ما توافقش..هى تطول أصلا تتزوج واحد زيي ابن ناس.

- بلاش نضيع وقت في كلام لا هايقدم ولا يأخر.. خلينا في المهم.. أنت دلوقتي بقى لك كام شهر شغال في العيادة وبيتهيألي أنك بقيت متأكد إن «ليلى» ليست مرتبطة بأحد ولا يوجد حب في حياتها.. وأنا أرى أن تُسرع في التقرب منها والتودد إليها.

وبدأ «صالح» بالفعل يتقرب من «ليلى» ويعاملها بطريقة أكثر رومانسية لدرجة أنها شعرت أن هناك شيئًا ما يفكر فيه «صالح»، ولم تستعجل الأمر.

وجاء يوم السبت وارتدى «صالح» أفضل ما لديه من ثياب وانطلق في طريقه إلى العيادة، واستغربت «ليلى» من مظهره المبالغ فيه.. وعقب انتهاء العمل اقترب «صالح» منها وسألها: أين ستقضي عطلة نهاية الأسبوع؟.

- عادة ما أقضيها في المنزل مع شقيقتي.. وأحيانًا أخرج إلى السوق لشراء بعض المستلزمات.

- وهل تمانعين في أن نقضي هذا اليوم سويًا؟.

- لا مانع.. لكن بشرط أن تحافظ على مظهرك الرائع وأن تعدني أن يكون يومًا رائعًا.

وخرج «صالح وليلى» إلى أحد المتنزهات، وأثناء جلستهما فاتحها «صالح» في موضوع الزواج، وكانت المفاجأة.. موافقة فورية دون تفكير.. ولكن.

- أنا يا «صالح» وكما تعلم مسيحية وليس لديّ استعداد صراحة لأتنازل عن ديانتي من أجل الزواج.

- ومن طالبك بأن تتنازلي عن ديانتك.. فالإسلام لا يمانع في زواجنا من أهل الكتاب، حيث يقول «لكم دينكم ولي دين».

- وكمان أنا ليّ شرط.. المقابل الذي تعمل به سواء الآن أم لاحقاً لا أريد منه شيئًا وكذلك بالنسبة ليّ.. فما أعمل به لا يخصك منه شيء.

وهنا صمت «صالح» برهة وفكَّر بسرعة.. كيف ضاع مني أحد أهم أسباب زواجي بـ«ليلى».. وهو المساعدة في مصاريف المعيشة وشراء الكتب وخلافه.. لكن لا يهم بقى أسباب أخرى ومهمة أيضًا، كالجنسية والمأكل والنظافة وغيرها.

- خلاص يا ستي أنا موافق.. أمتى ميعاد الفرح؟.

والتقى «صالح» بـ«ليلى» التى حضرت برفقة شقيقتها وأحد الأشخاص، الذي علم فيما بعد أنه شقيقها.. التقوا جميعًا أمام السفارة المصرية بلندن، وهناك تم عقد القران وانطلق الزوجان في رحلة استمرت أسبوعًا، اكتشف «صالح» خلاله الكثير من الأمور التى غيرت في طريقة تفكيره فيما بعد.

فـ«ليلى» لم تكن هى الممرضة التى عرضها في عيادة الدكتور «جون»، الفتاة المتواضعة الجمال، الهادئة، التى لا تحب المشاكل، فقد اكتشف صالح خلال حديثه المستفيض معها خلال رحلة شهر العسل أن شقيقها هذا مدمن للمخدرات، وأنها من آن لآخر تشرب معه.

ولن ينسى صالح ذلك اليوم الذي أجبر فيه على مغادرة لندن، بعد المشاجرة العنيفة التي نشبت بينه وبين أحد أصدقاء شقيق زوجته والذي لعبت الخمر والمخدرات برأسه فحاول الإعتداء عليها، فأبرحه صالح ضرباً، ولمّا على صوته حضرت الشرطة وكان ماكان.



2

- ما عرفتش يا حاج إسماعيل.. مش «صالح» ابن عم ساكت الخولي رجع من بلاد بره وكمان معاه واحدة خواجاية وعيل صغير على كتفها.

- تلاقيه اتجوز من بلاد بره.. ما هو طول عمره عامل زي القرع يمد لبره.. المهم هو راح على فين؟.

- راح على سرايا الباشا وعرفت أنه هايقعد هناك كام يوم على ما الخدامين يروحوا يظبطوا له البيت القديم.. شكله عايز يطول في البلد..آه.. وتلاقي ولاد الباشا ما وافقوش أنه يقعد معاهم في السرايا.. خاصة أنه دلوقتي مش لوحده.. فاهمني طبعًا يا حاج.

- بس يا واد عيب.. قوم بينا يلا نسلم عليه ونقول له حمد لله على السلامة، ونشوف مين اللي معاه دي.. وناوي يعمل إيه.

عرّف الدكتور صالح زوجته لأهل القرية على أنها دكتورة متخصصة في علم «التمريض» واستغرب الجميع لذلك، فطيلة حياتهم لم يسمعوا عن دكتورة في التمريض، هم يعرفون «الباش حكيم» و«الست

حكيمة» و«الباش تمرجي».

– إنما يا دكتور صالح التمريض ده محتاج دكتورة؟!.

– طبعًا يا حاج إسماعيل –التمريض بره أهم من الطب– ده الممرضة أهم من الدكتور نفسه.. هى اللي بتخللي بالها من المريض وتعطي له العلاج في مواعيده.

– وعلى كده حضرتك هاتشوف لها وظيفة في مستشفى المركز؟!.

– والله يا حاج أنا عرضت عليها الحكاية دي وهى رفضت.. بتقول عايزة تركز في تربية البنت.. بس أنا قلت لها لو حد عايز حاجة من أهل البلد تعملها له على طول.

وهكذا بدأت «ليلى» حياتها الجديدة في عزبة حلمي بنوع من البهجة.. حياة جديدة لم تعشها من قبل.. قرية هادئة ليس بها أي مَعْلم من معالم المدينة.. لا ضوضاء ولا دخان.. أهالي طيبون يعاملونها كملكة.. يرفضون أن تغسل أو تطبخ، تكفلت عددًا منهن بأن يقمن لها بأعمال المنزل.. ولم يتوقف التدليل على ذلك بل امتد ليصل إلى ابنتها «هانم».. حيث كانوا يعاملونها كأميرة من أميرات الأسرة المالكة.. ملابسها الغالية ذات الألوان الزاهية والغريبة عليهم، جعلتهم يهرولون إليها بمجرد رؤيتها على كتف أمها.. وقد زاد من هرولتهم خدمات أمها لسيدات العزبة ونصائحها التى بدأت تزداد بمجرد تعلمها لعدد كبير من الكلمات العربية.

ولأن دوام الحال من المحال فقد بدأت المشاكل تدب بين «ليلى» والدكتور «صالح».. وكانت بداية المشاكل بتمرد «ليلى» على المعيشة في العزبة وعدم قدرتها على التغلب على ملل ورتابة الحياة هناك.. ورغم مرور عامين على جلوسها في العزبة، إلا أنها لم تتمكن من التأقلم على المعيشة هناك.

- خلاص يا صالح أنا زهقت.. الحياة بقت مملة جدًا.. ما أفعله اليوم فعلته بالأمس وسأفعله غدًا.. كما أن الحياة في العزبة لا تُطاق.. لا سينما ولا مسرح ولا أي وسيلة ترفيه.

- والمطلوب؟.

- نسافر القاهرة.

- ولكن المعيشة في القاهرة تحتاج إلى مصاريف إضافية.. الحياة هناك باهظة التكاليف.. وسنحتاج هناك إلى مسكن وإيجار وأنتي عارفة الظروف.

- لا تشغل بالك بالمصاريف.. فلو نزلنا للقاهرة سأعود للعمل مرة أخرى.. وأكيد الناس هناك يقدرون التمريض.



وفي هذه الأثناء كانت «هانم» قد بلغت عامين ونصف العام، وبدأت ملامح شخصيتها تتكون وتتبلور.. ورغم أنها كانت طفلة، إلا أن تصرفاتها لم تكن توحي بذلك.. فقد كانت أنانية لا تحب سوى نفسها وتحب أن تمتلك كل شيء، وكان هذا واضحًا في طريقة لعبها مع أطفال النساء اللاتي كن يقمن بمساعدة والدتها في أعمال المنزل، فرغم ما كان لدى «هانم» من «لعب» جميلة وغالية، إلا أنها كانت دائمًا تطمع في أي لعبة مع أي طفلة، وتظل تبكي حتى تأخذها منها، وبعد أن تأخذها تقوم بكسرها لكي تبقى هى الوحيدة صاحبة كل اللعب.



3

انتقلت «هانم» بنت الثلاث سنوات ونصف السنة، إلى المعيشة في القاهرة مع والدها الذي قام باستئجار شقة ثلاث غرف وصالة في حى مصر الجديدة، وكان شبه فارغًا وقتها من السُّكان، وقام «صالح» باقتطاع إحدى غرف المنزل وتجهيزها لتصبح عيادة خاصة به، فيما قامت «ليلى» بتقديم أوراقها لتعمل ممرضة في معسكرات الجيش الانجليزي المنتشرة في مصر في هذا الوقت.

عام آخر مضى وحملت «ليلى»، وبدأت «هانم» تشعر بالغيرة من الرضيع الذي لم يأتِ بعد، ورغم محاولات أمها المضنية أن تحببها فيه، إلا أنها فشلت في ذلك، وارتضت بالأمر الواقع.. تسعة أشهر ووضعت ليلى «ذكرًا» واختاروا له اسم «سمير».

وبدأت «ليلى» عمليات ثقل مواهب ابنتها. التى تعدت السنوات الأربع، فاشترت لها مجموعة كبيرة من الكتب وكانت تحرص على أن تقرأ لها وتنمي لديها هذه الموهبة، وقد لاحظت «ليلى» أن ابنتها تميل أكثر

ناحية القصص البوليسية والمغامرات التى يكثر بها القتل وينتشر على صفحاتها الدماء.. في البداية لم تكترث الأم، بل اشترت لها أيضًا روايات «أجاثا كريستي» و«ألفريد هيتشكوك»، ولكنها بدأت تلاحظ تغييرًا في سلوك ابنتها.. إذ تحولت إلى عدوانية تكسر كل ما في البيت وتضرب أخاها الأصغر وتكسر لعبه.

– وبعدين يا صالح هانعمل إيه؟.. البنت بقت عدوانية زيادة عن اللزوم وتصرفاتها بقت لا تُطاق.

– أنتي السبب يا ست هانم.. كل من روايات الأكشن والعنف اللي بتشتريها لها.. شوفي لو حابة نوديها لدكتور نفساني.

وبالفعل ذهب الدكتور صالح ومعه زوجته وابنتهما إلى أحد الأطباء النفسيين، والذي تحدث إلى «هانم»، واكتشف أن الأمر لم يقف عند السلوك العدواني، إنما امتد إلى الأنانية وحب الذات وغيرها من الأمراض، فطلب منهما مساعدتها وترويضها بدمجها في المجتمع من خلال الاشتراك في أحد النوادى.

– أنتم قلتم ليّ هى عندها كام سنة؟.

– أربع سنوات ونصف يا دكتور.

– طب كويس.. يعني كلها كام شهر وممكن تقدموا لها في مدرسة خاصة.. وهناك ستختلط بالأطفال وسيتغير سلوكها.

وهكذا عاشت «هانم» طفولة غريبة.. معذبة.. تائهة.. وكان مع كل يوم يكبر فيها شقيقها تزداد كراهيتها له وغيرتها منه.. مرة لأن والدتها تقوم بتقبيله من آن لآخر.. ومرة لأن والدها يصطحبه معه يوم الجمعة إلى المسجد ليصلي.. بينما هى تذهب إلى الكنيسة مع والدتها.. وسألت والدها يومًا:

– هو أنت يا بابا ليه بتحبوا «سمير» أكتر مني؟.

– لا يا حبيبتي.. مين قالك كده؟.. إحنا بنحبكم أنتم الاثنين زي بعض.

– أُمال ليه ما بتاخدنيش معاك.. ولا بقيت تلعب معايا زي زمان قبل ما يشرف «سمير»؟.

– معلش يا «هانم» أنتي عارفة الشغل.. العيادة والمستشفى.. وماما كمان مشغولة.. بس أوعدك في أول فرصة هاخرجك معايا ونعمل رحلة جميلة في البلد.

وبدأت «هانم» مرحلة جديدة في حياتها.. فوالدتها حرصت على تنفيذ نصائح الدكتور بدقة.. فقامت بالاشتراك في أحد النوادي ودأبت على اصطحاب «هانم» معها إلى النادي ثلاث مرات أسبوعيًا.. علها تغير من سلوكها وتصرفاتها.

وفي النادي تعرفت «هانم» على مجموعة كبيرة من الأصدقاء.. ولاحظت أمها هذه الحكاية.. فمعظم من تعرفهم هانم أولاد.

- إنما ليه صحيح يا «هانم» كل أصحابك من الولاد؟..أنتي مقاطعة البنات والا إيه؟!.

- لا يا ماما مش مقاطعة.. إنما البنات دمهم تقيل.. وكل واحدة فاكرة نفسها «مارلين مونرو».. وكمان الولاد أجدع في تعاملاتهم.

- طب خلي بالك بقى يا حبيبتي.. لفي يوم يطلعلك شنب زيهم.

وكان «سعيد» هو أقرب أصدقاء «هانم» إلى قلبها.. كان مختلفاً عن باقي أقرانه.. شعره الأسود الفاحم الذي يتدلى على جبينه ليقترب من عينيه.. أدبه الجم.. سكوته الغريب الذي يجعل كل من يحاول الاقتراب منه يفكر عشرات المرات قبل أن يتخذ هذه الخطوة.. وكانت «هانم» بمجرد أن ترى «سعيد» تقوم بالانزواء جانبًا ليجلسا سويًا بعيدًا عن باقي الشلة.. إلى أن جاء اليوم الذي حضر «سعيد» فيه حزيناً على غير عادته.

- مالك يا سعيد النهارده متضايق؟.

– أنا خلاص يا «هانم» مابقتش قادر اتحمل.. أنا خلاص بقيت متأكد إن أبويا بيكرهني وبيحب «سامح» أخويا أكتر مني.

وهكذا وجدت «هانم» شريكاً لها في معاناتها داخل المنزل.. فـ«سعيد» يشترك معها في نفس المشكلة.. إلا أن «سعيد» هو الابن الأصغر لعائلة «عباس بك» الموظف الكبير بوزارة الخارجية.. بينما «هانم» هى الابنة الكبرى.. وصمتت «هانم» قليلاً تفكر في سر تفضيل الآباء لبعض أبنائهم على الآخرين.

– تصدق يا «سعيد» أنا كنت فاكرة إني الوحيدة اللي باباها بيحب أخوها أكتر منها.. بس طلع الحال من بعضه.

– طب والحل يا «هانم»؟.. هانفضل كده مضطهدين في بيوتنا.

– أنا عندي حل.. إيه رأيك نكسر كل اللعب اللي بيشتروها لإخواتنا علشان يعرفوا إننا معترضين على الحكاية دي.. وإيه رأيك كمان ناخد الفلوس اللي هما محوشنها ونرميها.

– بس مش ده يبقى غلط؟.

– لا.. ده أنا كمان شفت ماما بتاخد فلوس من جيب بابا وهو نايم وبترميها في شنطتها.. وبابا بيقعد يزعق ويزعل علشان الفلوس دي.. فإحنا كمان ناخد الفلوس ونكسر اللعب.. بس من غير ما حد يعرف علشان نزعلهم زي ما بيزعلونا.

- خلاص اتفقنا.

وفي اليوم الأول لتنفيذ الخطة شعرت زوجة «عباس بك» بأن شيئاً غريبًا يخطط له «سعيد».. فراقبته أمه حتى رأته يعبث في ملابس والده المعلقة على «الشماعة».. وانتظرت حتى رأته يخرج وفي يده النقود.. وقبل أن يرمي بها من البلكونة:

- سعيد.. بتعمل إيه؟.

- مفيش حاجة يا ماما.

- وإيه اللي في إيدك ده؟.. تعالى هنا وريني.

وانكشف الأمر.. وقررت أسرة «عباس بك» أن تبعد ابنها عن النادى، وعن ابنة «الممرضة».. كما كانوا يقولون.. حتى لا تُعلَّم ابنهم السرقة.

4

كبرت «هانم» ودخلت المدرسة.. ولأن والدتها كانت تجهز ابنتها لكى تكون أهم «هانم» في مصر، فقد اختارت لها مدرسة من أغلى المدارس الموجودة في مصر في ذلك الوقت لتدرس بها، واشترت لها حقيبة وأقلامًا ذات ألوان زاهية وأستيكة وملابس جديدة من محلات وسط البلد.. وذهبت «هانم» إلى المدرسة التى لم تكن تبعد كثيرًا عن الشقة التى تسكن فيها.

وطيلة الأسبوع الأول لم تحاول «هانم» أن تتعرف على أي من زملائها في المدرسة، حيث شعرت أنها أقل من باقي زميلاتها اللاتي يتميزن عنها بجمالهن اللافت، وأصولهن العريقة، فقد سمعت إحداهن تُعرِّف نفسها لزميلاتها بأنها ابنة وزير الحقانية، فردت الأخرى بأنها ابنة وزير المعارف، ليرد آخر بأن والده ضابط كبير في الجيش، ويرد آخر أن والده طيار.. مما جعلها تنظر لنفسها على أنها أقل من الجميع.

– إنما يا بابا أنت ليه ما طلعتش وزير ولا طيار؟.

– حكم ربنا كده يا حبيبتي.. وبعدين ما أنا دكتور أهو يا «هانم».. بعالج الناس وباخد فلوس منهم وباخد حسنات من ربنا علشان خففت آلامهم.

– طب سؤال يا بابا.. هو الدكتور ما ينفعش يبقى وزير أو طيار؟.

- لا.. ما ينفعش.. إنما الأسئلة دي كلها ليه؟.

- أصل زمايلي في المدرسة كلهم أولاد وزرا وناس مهمين.

- بصي يا بنتي.. أنا عايز أعملك حاجة.. اوعي تحتقري من شغلانة أي حد.. لأن ده رزق ونصيب.. ومفيش حد في الدنيا دي كلها بياخد أكتر من نصيبه.. فارضي يا بنتي بنصيبك علشان تعرفي تعيشي مبسوطة وسعيدة في حياتك.. وإلا ها تفضلي طول عمرك تعبانة.

ورغم محاولات «هانم» المضنية أن تستمع لكلام والدها وأن تنفذ نصيحته، إلا أنها لم تستطع.. فكانت دائمًا تشعر بالدُّونية وأن الآخرين أحسن منها.. وزاد هذا الشعور لديها بعد ابتعاد الجميع عنها.. خاصة بعد أن تحدثت لبعضهن أن والدتها تعمل ممرضة في معسكرات الجيش الانجليزي.. حيث اتخذها زملاؤها في المدرسة مَضْحَكة ووسيلة سهلة للسخرية منها.

وذات مرة انهارت «هانم» وتساقطت دموعها بغزارة، عقب عودتها من المدرسة ولقائها بأمها:

- مالك يا «هانم» بتعيطي ليه؟.. حد زعلك.

- زمايلي في المدرسة بيعاملوني وحش وبيقولوا لي: يا بنت خدامة الانجليز.

- إزاي الكلام ده.. دي قلة أدب.. أنا بكرة هاروح المدرسة معاكي وأشوف مين الولاد اللي قالوا لك كده ولازم ياخدوا جزائهم.

- لا.. مش عايزاكي تيجيي معايا.. أنا خلاص مش هاروح المدرسة دي تاني.

وصممت «هانم» على رأيها وتغيبت يومين عن المدرسة، فقررت والدتها أن تترك العمل من أجل الحفاظ على مستقبل ابنتها.

- خير ما عملتي يا هانم.. أنا كنت عايز أقولك كده من زمان.. مبقاش لها لازمة.. الحمد لله العيادة بقت شغالة كويس.. وكمان الولاد لسه صغيرين ومصاريفهم مش كتير.

وعادت «هانم» إلى المدرسة مرة أخرى.. ولكن عودتها هذه المرة كانت مختلفة.. حيث قررت أن تنتقم من جميع الطلاب الذين سخروا منها، والذين استهانوا بها وبوالدتها.. وقد اختارت لنفسها طريقين تمشي فيهما في آن واحد.. الطريق الأول أن تجتهد في دراستها وأن تتفوق عليهم جميعًا وتثبت لهم أن ابنة الممرضة أذكى منهم وأشطر منهم.

أما الطريق الثاني.. فكان أن تحرق قلوبهم على كل عزيز وغالٍ يمتلكونه، فكانت تدخل إلى الفصول في فترة الفسحة ودون أن يشعر بها أحد، وتفتش في شنط زملائها.. فتكسر قلم هذا.. ومسطرة هذه.. وتأخذ نقود هذا.. وتضع كتاب هذا في شنطة هذه.. وكراسة هذه في شنطة هذا.. وظلت على هذه الحالة مدة من الزمن.. وكانت تشعر بسعادة غامرة وهى ترى زملاءها يتشاجرون مع بعضهم البعض ويتهمون بعضهم بالسرقة.. ورأت بهذه الطريقة أنها حصلت على حقها.

وانتهى الفصل الدراسي الأول وظهرت النتيجة.. وأعلنها ناظر المدرسة على الملأ وفي طابور الصباح.

- الطالبة الأولى على المدرسة هى «هانم صالح ساكت».. صفقوا لها.

وكانت فرحة «هانم» بنفسها لا توصف.. إذ أخذت تعامل زملاءها في المدرسة منذ ذلك الحين بتعالٍ، وبدأ بعضهم يتودد إليها ويحاول الاقتراب منها.. وقد اختارت من بين كل طلاب المدرسة «شلة» صغيرة مكونة من خمسة أولاد، كانت هي البنت الوحيدة وسطهم.

ورغم أن «الشلة» كانت من طلاب الصف الثالث والرابع الابتدائي، إلا أنهم كانوا يعاملونها على أنها كبيرة.. وبدأت «هانم» تشعر بذلك وتقرر أن تزيد من إعجابهم بذكائها ورشاقتها

. فاستكملت قراءة القصص البوليسية التى عادت لشرائها وقراءتها من وراء أمها..
بعدها قرر والدها ألا تدخل هذه القصص منزلهم مرة أخرى.

وقررت «هانم» كذلك أن تشترك في فريق «الباليه» الموجود في المدرسة، ولكنها فشلت في الاختبار، ورغم ذلك ظل حلمها أن تصبح راقصة باليه، ولم يفارقها هذا الحلم حتى بعد أن كبرت وتزوجت.

وانتهى الفصل الدراسي الثاني.. وانتهت المرحلة الابتدائية كلها.. و«هانم» مازالت محافظة على تفوقها الدراسي، وعلى كونها الأولى على المدرسة.. وحاولت طيلة هذه الفترة أن تحافظ على ذكائها بمزيد من القراءة للكتب والمجلات التى تتحدث في كل شيء.. «الصحة – الجمال – الأدب – السياسة».. وكذلك انتهت المرحلة الابتدائية.. وانتهت معها علاقة «هانم» بشلتها المكونة من خمسة أولاد، وذلك بعد أن تفرقوا واحدًا تلو الآخر.. حتي من بقى لم تعد «هانم» تبهره كما في المرات السابقة.



5

دخلت «هانم» إلى المرحلة الاعدادية.. وهناك في المدرسة عاشت أول قصة حب.. يوسف.. صاحب أول كلمة حب.. وصاحب أول لمسة يد.. وصاحب أول هدية تأتيها من خارج أسرتها.. وصاحب أول وردة حمراء تدخل بها البيت وهى خائفة أن تراها أمها أو يشعر بها شقيقها «سمير».. نعم هو يوسف أجمل قصة حب.

تعرفت «هانم» على «يوسف» في اليوم الأول لها في مدرستها الجديدة، شاب يافع، ذو عينين خضراوين.. ملابسه أنيقة.. يكبرها بعام واحد أو عامين، ويوسف هو عضو بارز في اتحاد طلاب المدرسة.. وكان ضمن اللجنة المكلفة باستقبال الطلاب الجدد، وقد أبدى «يوسف» إعجابه بـ «هانم» منذ الوهلة الأولى التى رأها فيها، وزاد إعجابه عندما تحدث إليها.

– أنا «يوسف».. عضو اتحاد الطلبة.. وفي الفرقة الثالثة.

– وأنا «هانم».. الأولى على المدرسة الابتدائية.

– ويا ترى ناوية لما تكبري تطلعي إيه؟.

– كنت بحلم أبقى «طيارة» بس لما عرفت إن مافيش طيارين بنات قلت أبقى مُضِيفة.

– هههههههه.. تخيلي إني أنا كمان بحلم لما أكبر اطلع طيار زي بابا.

– أنت بابا طيار.. يا بختك.

– ليه هو انتي باباكي بيشتغل إيه؟

– دكتور.

– طب كويس.. أُمال انتي كنتي عايزاه يطلع طيار ليه؟.. وانتي إيه اللي خلاكي تفكري تطلعي طيارة أو مضيفة؟.

– أنا نفسي أطير في السما.. وابعد عن الناس كلها.. بحس إني عايزة أكون مختلفة.. متميزة.. الناس كلها تشاور عليّ وتقول «الهانم».. وفي نفس الوقت ما بحبش أتعامل معاهم لأني ما بحبش طريقتهم.. بحس إنهم ما بيحبونيش.

وبدأت لقاءات «هانم» و«يوسف» تتكرر يوميًا.. حيث اكتشف الاثنان أنهما يسكنان في شارع واحد.. فقرر يوسف أن ينتظرها على ناصية الشارع في الصباح ليوصلها إلى المدرسة، وأمام باب المدرسة عقب انتهاء الدراسة ليوصلها إلى المنزل.

وتتذكر «هانم» أن «يوسف» هو أول من حنَّ عليها وأشعرها بأنوثتها التى كانت قد بدأت في التفجر، فلم يشعرها أي من شلتها القديمة بتلك الأنوثة رغم أنها كانت كلها من الأولاد.. ولم تلحظ والدتها تضاريس جسمها التى بدأت في التغير

ولكن يوسف كان لَمَّاحًا.. داس على الوتر الحسَّاس.. الوتر الذي لم يُعزف عليه من قبل.

- إيه يا يوسف مالك كده.. قلقان ومتوتر وحاسة إنك عايز تقول حاجة.

- فعلاً يا «هانم» في موضوع بفكر فيه من فترة وكنت متردد أفاتحك فيه.

- إيه خير؟.. قول.

- بصراحة.. أصل.. ما هو..

وكان وجه يوسف قد امتلأ بحمرة الخجل.. وازداد توتره بشكل ملحوظ لدرجة جعلت «هانم» تنفجر في الضحك.. وجعلت يوسف يغضب ويقرر الانسحاب من المحادثة، وتركها لولا أنها توقفت عن الضحك وتحدثت بنوع من الجدية.

- إيه بقى الحكاية؟.

- الحكاية إني معجب بيكي.. وخلاص استريحتي.

- وإيه أكتر حاجة خلتك مُعجب بيّ؟.

- كل حاجة يا «هانم»..جمالك وثقافتك وأنوثتك وذكائك.. كل حاجة.. كل حاجة.

وصمتت «هانم» لبرهة وكأنها تقول لنفسها «أخيرًا وقع».. ثم أفاقت على صوت يوسف.

- يظهر إن في حد تاني في حياتك أو يمكن ما أكونشي أنا فتى أحلامك.

- بالعكس يا يوسف.. تعرف إني أنا كمان كنت معجبة بيك.. بس كنت بقول لنفسي مش معقولة وإحنا في السن ده نحب ونرتبط.. إحنا لسه في إعدادي.

- الحب ما يعرفش سن يا «هانم».. وبعدين ما إحنا كمان بكره نكبر.

ومنذ هذه اللحظة تغيرت تصرفات «هانم» وتغيرت معها طريقة تفكيرها.. فبدأت ولأول مرة تختار ملابسها بعناية.. وبدأت تقف أمام المرآة الكبيرة الموجودة في غرفة والدتها لفترات طويلة.. ترتدي هذا وتنظر لنفسها فلا يعجبها، فتسرع إلى غرفتها فتغيره وترتدي غيره وتذهب بسرعة إلى المرآة.. وتظل على هذه الحالة إلى أن تجد نفسها ستتأخر، فتوافق على أي طقم وتخرج حتى لا تتأخر على الموعد الذي حددته مع يوسف.

وتذكر «هانم» أول مرة خرجت فيها مع «يوسف» وقضت معه اليوم بأكمله، لأن ما حدث في ذلك اليوم لا يمكن نسيانه.. كان يوم الخميس.. خرجت في الصباح كعادتها مرتدية زي المدرسة وحملت على كتفها شنطة المدرسة لكنها كانت خالية من الكتب.. فقد وضعت فيها الطقم الجديد الذى اشترته مؤخرًا حينما نزلت مع والدتها لشارع سليمان باشا بوسط البلد.

– بس أنتي هاتغيري ملابسك فين دلوقتي؟.. ما كنتي فضلتي بملابس المدرسة وخلاص.

– الطقم بتاع المدرسة يوسف بقى حافظه وشافني بيه يجيي 100 مرة.. وأهو بالمرة أعرف رأيه في ذوقي في اللبس.

– طب وتغيير الهدوم هيبقي فين؟.. في الشارع.

– لأ.. ممكن أدخل الحمامات بتاعة جروبي أغير فيها.. ما تعقدهاش بس.

– طب ما تنسيش تحطي برفان قبل ما تنزلي.. ويلا علشان متتأخريش.

– بس البرفان بتاع ماما ده مش حلو.. النهارده وأنا مع يوسف هاشتري لي علبة حلوة.

ووقف يوسف على أول الشارع كعادة كل يوم ينتظر قدوم «هانم».. وقد قابلته في هذا اليوم بابتسامة عريضة، وأخبرته بأمر الملابس التى تحملها في حقيبتها ورغبتها في أن تقوم بتغيير ملابسها في حمامات جروبي.. ووقف يوسف على باب جروبي ينتظر خروج «هانم» بملابسها الجديدة.. ثم وقفا على الباب ليقررا أين سيذهبا.

– أي مكان يعجبك.. المهم نرجع في ميعاد المدرسة.. أصل سمير أخويا بدأ يعمل فيها راجل.

– خلاص يبقى نركب الترام وننزل وسط البلد.

وانطلق «يوسف» مع «هانم» في طريقهما لوسط البلد.. ولأول مرة أمسك بيدها.. ساعتها شعرت «هانم» أن رعشة قوية تسري في جسدها.. حاولت أن تصرخ وتقول له لأ.. أو أن تنزع يدها من يده ولكنها لم تستطع، فاستسلمت وتركت لخيالها العنان يرسم أجمل مشاعر صادقة.. وسادت حالة من الصمت الغريب بينهما، لم يخرجهما منها سوى مُحصِّل التذاكر الذي طلب ثمن التذكرة، وبدأ بعدها الحبيبان الصغيران فتح موضوعات للحديث بينهما.

– إنما إيه حكاية أخوكي سمير اللي بتقولي عليها دي؟.

- لا حكاية ولا حاجة.. من ساعة ما اتولد وأنا أصلاً ما بحبوش.. بابا وماما كأنهم لم يأتوا بغيره.. كل الحب والحنان واللعب له، وأنا ولا كأني موجودة.

- هما كل الآباء كده.. تلاقيهم بيحبوا واحد أكتر من التاني.. ولما تيجي تسأليهم يقولوا لك مفيش كلام من ده.. إحنا بنحبكم زي بعضكم.

- عارف إن أنا جات عليّ فترة وحسيت إني مش بنت بابا وماما وإنهم لاقوني وصعبت عليهم فقالوا ياخدوني يربوني.

- هههههههه.. تعرفي إني فكرت في الحكاية دي من فترة أنا كمان وبعدين قلت لأخويا الكبير فقال لي بلاش هبل.. وقال كمان إنه جات عليه فترة وحس الحكاية دي لما أنا شرفت للدنيا وبدأوا يهتموا بيا شوية.. ودلوقتي بدأوا يهتموا بأخويا الصغير.. هى دي سُنَّة الحياة يا بنتي.

وبينما «يوسف» يتحدث إذ بوجه «هانم» قد تغير.. انقلب فجأة إلى أصفر، وبدأت معالم التوتر والقلق تنتابها.

- مالك يا «هانم» فيه إيه؟.

- مش عارفة.. حاسة إن روحي بتنسحب مني.. ومغص جامد في بطني.. وألم فظيع في ظهري.

- طب الحكاية دي جات لك قبل كده؟.

- لأ.. خالص.. أول مرة.

- بسيطة.. جهزي نفسك خلاص هاننزل المحطة الجاية.

وقامت «هانم» لتجهز نفسها للنزول ولكنها شعرت بشعور غريب.. وكأن الكرسي الذي كانت تجلس عليه ملىء بالمياه التى بللت كل ملابسها، واستدارت لتتحسس بيدها المياه، لكنها فوجئت بأنها «دم» لتسقط مغشياً عليها، وليقع «يوسف» في ورطة.. كيف يتصرف.

وما إن سقطت «هانم» على الأرض حتى تجمعت حولها مجموعات كبيرة من السيدات اللائي سألن يوسف:

- أنت تقرب لها؟.

- أيوه.. لا.. أيوه.. أيوه.. أنا أخوها.

- طب ما تقلقش.. أختك جالها التعب بتاع الستات ولازم تروح البيت دلوقتي.

ووقف يوسف مذهولاً.. خائفًا لا يعرف ماذا يفعل.

هل يأخذها ويعود في الترام إلى منزلها.. وماذا لو قابلهما والدها أو والدتها أو شقيقها سمير.. هذا الذي يحاول أن يثبت رجولته عليها.. وتذكر «يوسف» الدم الذي رأه في يد «هانم» وكيف كان منظره بشعًا.. ووجد نفسه ينظر إليها باستغراب ويجري مبتعدًا تاركاً «هانم» ملقاة على أحد كراسي الترام.

وعادت «هانم» في نفس الترام إلى مصر الجديدة مرة أخرى ولديها أكثر من شعور وكل شعور يتناقض تمامًا مع الشعور الآخر، فمن ناحية تمشي في عجل بسبب ملابسها التى امتلأت بالدم، وشعورها بأن كل من يقابلها ينظر إليها باشمئزاز.. ومن ناحية ثانية تفكر فيما ستقوله لوالدتها عن سبب رجوعها من المدرسة مبكرًا.. وسبب ارتدائها للملابس الجديدة وعدم ارتدائها لملابس المدرسة.. ومن ناحية ثالثة تفكر في يوسف.. نعم يوسف لماذا هرب؟.. هل كان خائفاً أم مشمئزًا من منظر الدم؟!.. لابد أن تعرف منه الحقيقة عندما تقابله غدًا في المدرسة.

- «هانم».. إيه رجعك من المدرسة بدري كده؟.. وفين ملابس المدرسة؟.

- أصل أنا تعبت في المدرسة والناظرة قالت لي أروح قبل اليوم ما يخلص.

- وفين ملابس المدرسة؟.

- معايا في الشنطة.

- أيوه يعني.. مش لبساها ليه؟.. وإيه اللي خلاكي تلبس الطقم الجديد ده؟.

- أصل أنا خدت الطقم الجديد ده معايا علشان أفرجه لزمايلي.. وفي المدرسة قمت بتغيير ملابسى ثم تعبت فجأة.

- وأنتي تعبانة مالك.. الدكتور قالك إيه؟.

- الدكتور ما قالش حاجة.. الناظرة قالت ليّ إن ده تعب الستات.

- تعب الستات.. ههههه والله كبرتي يا «هانم» وبقيتي في تعداد الستات.

وهكذا مر نصف اليوم بسلام وتبقى النصف الآخر.. يوسف لماذا هرب وتركني ملقاة على المقعد؟!.. وتعبت «هانم» من التفكير ومن الدم الذي ما زال ينزل.. فقررت أن تقوم لتنام وتستكمل غدًا.

وفي اليوم التالي حاولت «هانم» أن تلتقي بـ «يوسف» وأن تتحدث إليه ولكنه تهرَّب منها ولم يعطها الفرصة للحديث، في بادئ الأمر ظنت أنه مشغول لكن في اليوم الثالث والرابع وجدت نفس الموضوع، فتيقنت أنه يتهرَّب منها وأنه يرغب في إنهاء العلاقة الطاهرة البريئة.. ومنذ ذلك الحين أخذت «هانم» عهدًا على نفسها ألا تسلم قلبها لأي شاب يلعب به.. وأن تنتقم من جميع الشباب بأن تعلقهم بها ثم تتركهم كما تركها «يوسف».



6

أنهت «هانم» دراستها في الإعدادية.. ولم تحاول خلال هذه الفترة أن تشغل بالها بأي شيء، حتى الكلام مع زملائها لم تكن تفعله، ورغم محاولات بعض الشباب وبعض الفتيات أيضًا أن يتعرفوا عليها ويتقربوا منها، إلا أنها كانت مصممة على موقفها، ومر الصفان الثاني والثالث، وانتهت الامتحانات الإعدادية، واستطاعت «هانم» أن تحافظ على تفوقها، ورغم أنها لم تتمكن من الحفاظ على المركز الأول، إلا أنها كانت راضية عن نفسها وعما بذلته من مجهود، وعن النتيجة التى وصلت إليها، وكان والدها هو الآخر راضيًا عنها بل إنه قرر أن يكافئها على نجاحها بمفاجأة أخرجتها من جو العزلة الذي حبست فيه نفسها لعامين.

- إيه رأيك يا «هانم» في إجازة أسبوعين للبلد.

- يااااااااااه.. تصدق يا بابا إن دي أحلى مفاجأة.. أنا فعلاً محتاجة أسافر البلد.. محتاجة أغير جو.. أشوف ناس تانية غير الناس اللي هنا.

- خلاص لما يرجع أخوكي من بره عرفيه إننا هنسافر بكره وخليه يجهز شنطته.. وإنتي كمان جهزي شنطتك من دلوقتي.

وانطلق الدكتور صالح إلى سنترال مصر الجديدة ليحدث الحاج إسماعيل، عمدة القرية ليخبره بأنه سيصل مساء غدٍ إلى العزبة لقضاء إجازة، وليطلب منه أن يرسل إحدى الخادمات لتنظف له البيت القديم، ووصل صالح إلي السنترال.. ودق جرس التليفون لكن لم يكن أحد يجيب.. فقرر أن ينطلق إلى العزبة مباشرة ليرى ما الحكاية.

واستقلت أسرة الدكتور صالح القطار المتجه إلى وجه قبلي من محطة باب الحديد، وجلست «هانم» بجوار الشباك تنظر إلى الحقول الشاسعة وإلى النيل الذي بدأ في الظهور بمحاذاة القطار.. وسألت نفسها كيف كان كل هذا الجمال غائبًا عنها؟.. واستغرقت في التفكير وتذكرت «يوسف» مرة أخرى وكيف كانت تجهز نفسها لقضاء يوم ممتع معه، وارتسمت على وجهها ابتسامة عريضة وبدأت عيناها في اللمعان، ثم واصلت ذكرياتها لتصل إلى اللحظة التى تركها فيها «يوسف» ملقاة على الأرض وهرب، وهنا تغير لون وجهها وحل مكان لمعان عينيها دمعة كادت تسقط لولا أن سمعت صوت شقيقها سمير.

- وسَّعي بقى شوية من جنب الشباك.. عايز اتفرج أنا كمان على الزرع.

- ما تقعد في أي حتة يا سمير ولا هو مفيش غير الشباك اللي أنا بتفرج منه.

وكاد سمير يتراجع عن الجلوس فى مكان «هانم» وأن يسكت عن إلحاحه لولا أن سمع والدته تقول لهانم:

– كفاية عليكي كده يا «هانم».. قومي علشان أخوكي يقعد شوية.

وقامت «هانم» من أمام الشباك وهى ممتلئة بالغيظ من سمير وكل الرجال الذين هم على شاكلته، وتساءلت عن سر تفضيل أمها لسمير، ولماذا تضطهدها؟.. هل لأن البنات أقل من الأولاد؟.. أم لماذا؟.. وجلست «هانم» بجوار والدتها على طرف الكرسي واستعادت ذكرياتها عندما كانت صغيرة تلعب بلا شريك وبلا منازع، وتذكرت كيف تغير الحال بعد قدوم سمير، وكيف كانت اللعب والهدايا لا تأتي إلا لسمير، وزاد حنقها على سمير وكل الرجال وأقسمت أن تنفذ قسمها السابق بأن تذل كل الرجال وأن تجعلهم تحت قدمها.. وجاءها صوت والدها هذه المرة:

– يلا يا ولاد جهزوا الشنط.. المنيا خلاص قربت.

واستقلت أسرة الدكتور صالح عربة حنطور من أمام المحطة للعزبة، وفي الطريق سأل صالح «العربجي» عن أحوال المنيا وأهلها، وأخذ «العربجي» يشرح كيف أن الناس قد تغيرت تصرفاتهم وعاداتهم بعد الثورة، وكيف أن جمال عبد الناصر قد أعاد لهم كرامتهم التى أضاعها الانجليز الذين كانوا يعيثوا في الأرض فسادًا.. ثم قطع «العربجي» كلامه وسأل الدكتور:

- إنما أنت رايح فيه في العزبة يا بك؟

- دوار العمدة.. الحاج إسماعيل أبوعلاء.. عارفه؟.

- إلا عارفه.. طبعًا عارفه.. ما أنا أصلي من العزبة اللي جنبهم.. وبعدين البلد كلها صغيرة.. والناس اللي فيها عارفين بعض.

واستكمل الدكتور صالح حديثه مع «العربجي» وجلست «هانم» تستمع باهتمام لحكايات «العربجي» عن الناس في المنيا، وكيف تغيرت طباعهم، وعن شباب العزب والنجوع الذين سافروا لمصر للدراسة، وجاءوا ببناطيل مثل التى كان يرتديها الانجليز.. واستمر الحديث حتى توقف الحنطور أمام بيت مكون من طابقين وتحيطه حديقة يظهر من خلف السور الذي يدور حولها بعض أشجار البرتقال وثلاث نخلات إحداها تقسم المنزل نفسه، وعلي باب المنزل يقف رجلان في يدهما بنادق.

- حمد الله على السلامة يا بك.. أهو ده دوَّار العمدة الحاج إسماعيل.

ونزل صالح من على الحنطور وبدأ في إنزال الشنط والأولاد، لولا أن جاءه صوت الحاج إسماعيل من داخل الدوَّار.

– يا أهلاً وسهلاً بالدكتور صالح.. قوم يا واد أنت وهو نزلوا الشنط من على العربية.. اتفضل يا دكتور.. اتفضلي يا ست هانم.. العزبة نورت.

– منورة بأهلها يا حاج إسماعيل.. أزيك كده وازي علاء ابنك.

– الحمد لله يا بك عايشين بفضلة خيرك.. إنما مش كنت عرفتنا إنك جاي علشان كنا فرشنالك الأرض رمل.

– أنا اتصلت على التليفون بس محدش كان بيرد.

– ده التليفون بايظ وبعتنا المركز علشان يتصلح.. المهم أنتم نورتونا.. اتفضلوا على المقاعد اللي فوق استريحوا لحد ما الغدا يجهز.

واختارت «هانم» لنفسها غرفة تطل على الحديقة، دخلتها وغيَّرت ملابسها وأفرغت الشنطة، ثم استأذنت والدها في أن تخرج لتتجول في العزبة، فطلب منها الانتظار حتى يرسل معها أحد الخفر لحراستها، وبعد الغداء اصطحب أحد الخفر «هانم» لتتجول في القرية، وركبت «هانم» «الحمار» وكانت أول مرة تركب فيها على هذا الحيوان الذي رأت صورته كثيرًا في الكتب، وأنهت «هانم» جولتها، حيث كانت متعبة من السفر.

عادت «هانم» إلى الدوار ودخلت إلى غرفتها ونامت نومًا عميقاً لم تستيقظ إلا على صوت الكروان الذي أطلق من على الشجرة التى كان يقف عليها أمام شباك غرفتها نغماته الرنانة الساحرة، تركت «هانم» الفراش ووقفت في الشباك تنظر إلى الطبيعة الخلابة والجو الساحر.. لكن لفت انتباهها وقوف عدد كبير من النسوة على شط الترعة أمام الدوار.. النسوة يضحكن.. تلتفت إليها إحداهن ثم تقول للباقيات كلامًا فيضحكن.

- تُرى ماذا تقول لهن؟.. ولماذا يضحكن؟.. لابد أنها تتحدث عني.. يجب أن أكتشف ذلك بنفسي.

وارتدت «هانم» ثيابها وانطلقت خارجة من الدوَّار تجاه الترعة، وهناك رأت النسوة يقمن بغسل ملابسهن وأوعيتهن النحاسية في مياه الترعة، ولاحظت جو السعادة والمرح الذي يضفونه على جلستهن، فواحدة تغني، والباقيات تردن عليها، وواحدة أخرى تلقي بالنكات فتضحك النسوة، واقتربت «هانم» منهن، لكن أحدًا منهن لم تعرنها اهتمامًا، فوقفت تستمع لأغنياتهن ونكاتهن، ولما أحست أن قدماها أتعبت من الوقفة اقتربت لتجلس على شط الترعة لكن قدماها انزلقت لتهوى «هانم» في الترعة وتبدأ النسوة في الصراخ..

وخرج من دوَّار العمدة شاب في بدايات

العشرينيات، يرتدي جلبابًا لونه أزرق، واقترب من شط الترعة، ثم خلع جلبابه وألقى بنفسه في المياه لينقذ الفتاة الغريقة.. وبينما «هانم» تغرق إذ تجد من يحاول إنقاذها، فأمسكت في عنقه وتعلقت به حتى أخرجها من الماء.

على شاطئ الترعة النسوة مازلن واقفات في انتظار خروج الشاب بالغريقة، وما إن خرج وبدأ في محاولة إسعافها، وفتحت عينيها حتى رنت الزغاريد.. وخرج الحاج إسماعيل على أصوات النساء وخرج معه الدكتور «صالح» الذي كان قد استيقظ لتوه من النوم، وشق العمدة وضيفه صفوف النسوة حتى وصلا إلى حيث الفتاة الغريقة.. وقد هالهم أن يرا «هانم» هى تلك الفتاة الملقاة على الأرض و«علاء» هو من يقوم بإسعافها.

- إيه يا «هانم» الحكاية؟.. مالك يا حبيبتي أنتي كويسة؟

- الحمد لله يا بابا.

وأمر العمدة أحد الخفر أن يحمل «هانم» إلى داخل الدوَّار.. إلا أن «علاء» أصرَّ على أن يستكمل معروفه ويحملها إلى الداخل.

ونامت «هانم» بعد أن قامت والدتها بتغيير ملابسها الغرقانة بالمياه، نامت وفي مخيلتها يوم أن خرجت مع «يوسف» وتركها ملقاة على الأرض وهرب، وهذا اليوم الذي ألقى شاب لا تعرفه بنفسه في الترعة لإنقاذها، وأصرَّ أن يحملها على يده حتى يوصلها لغرفتها.. من يكون هذا الشاب؟!.. ولماذا فعل هذا؟!.. لابد أن تسأل والدها عندما تقوم من نومها.

- ده «علاء» ابني يا «هانم».

- أُمال هو راح فين.. كنت عايزة أشكره.

- لا شكر على واجب يا «هانم».. وعمومًا هو راح الجامع علشان صلاة المغرب وزمانه راجع.

وانتظرت «هانم» «علاء» في حديقة الدوَّار حتى يأتي من صلاة المغرب.. وقابلته بابتسامة بها الكثير من معاني الشكر والتقدير والإعجاب.. وطلبت منه أن يجلس بجوارها ليتحدثا سويًا.

- إنما أنت إيه اللي خلاك ترمي نفسك في الترعة لتنقذني؟.. ألم تخف من الغرق؟.

- العمر واحد والرب واحد يا «هانم».. واللي مكتوب للواحد هايشوفه.. بسم الله الرحمن الرحيم «قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا» صدق الله العظيم.. وكمان ده واجب.

- أنت شكلك متعلم؟.. صح.

- أنا كنت بتعلم في الأزهر.. ووصلت للثانوي.. بس أبويا تعب وكان محتاجني أقف جانبه.. فسبت الأزهر ورجعت البلد أخلي بالي من أبويا وأرضنا.

وأعجبت «هانم» بكلام «علاء» وتمنت لو كان مكان «يوسف» بالتأكيد لم يكن ليتركها ويهرب.. واستمر الكلام بينهما حتي استأذن «يوسف» ليذهب إلى المسجد ليؤدي صلاة العشاء.

- خلاص هستناك لما ترجع علشان نكمل كلامنا.

وظلت «هانم» تفكر في كلام «علاء».. وفي هذه النوعية من الرجال الذين لم تقابل مثلهم في حياتها.. حياتها التى لم تعرف سوى «يوسف» وشقيقها «سمير» وبعض الأطفال في المرحلة الابتدائية والإعدادية، والذين لا تحب أن تتذكرهم.

وانتظرت «هانم» «علاء» للمرة الثانية حتى حضر من صلاة العشاء.. وهمَّت بالنداء عليه لاستكمال الحديث الدائر بينهما.. إلا أنه طالبها بأن يتم تأجيل الكلام للغد لأن الوقت قد تأخر ولا يصح أن يظل جالسًا معها، كما أنه يريد أن ينام لأن وراؤه أعمالاً كثيرة في الحقل صباح الغد.

- طب ممكن آجي معاك الأرض بكرة؟

- طبعًا تشرفي.. بس أبقي هاتي حاجة على راسك علشان الشمس بتبقى حامية.

وانصرف «علاء» متجهًا إلى غرفته في الطابق الأرضي تاركًا «هانم» في الحديقة، وقد امتلأ فكرها بـ «علاء».. لكنها قررت ألا تفكر فيه وأن تنفذ العهد الذي قطعته على نفسها بألا تجعل قلبها لعبة في يد أي شخص.

- إنما «علاء» ده شكله مختلف عن باقي الشباب.. يبدو من كلامه وتصرفاته إنه راجل.

- بطلي هبل.. كلهم زي بعضهم.

وظلت «هانم» تفكر في «علاء» وعلاقتها به.. خاصة بعدما تملكها إحساس أنها أصبحت مدينة له بحياتها.. وظلت تفكر حتى غلبها النعاس.

استيقظت «هانم» في صبيحة اليوم التالي بعد أن اقتحمت أشعة الشمس الذهبية شبابيك غرفتها.. ودخلت إلى المخدة حيث تضع خدها.. فتحت عينيها فلم تستطع، فاستدارت بوجهها إلى الناحية الأخرى.. وقامت منتفضة ويبدو أنها تذكرت شيئاً مهمًا.

- ميعاد «علاء».

وانطلقت إلى الحمام، فغسلت وجهها، ثم ذهبت وارتدت أجمل ما لديها وتذكرت نصيحة «علاء» بضرورة ارتداء قبعة لحمايتها من الشمس.. ونزلت من غرفتها إلى الطابق الأرضي.

- صباح الخير يا عمو.

- صباح الفل والياسمين يا «هانم».. إن شاء الله تكوني نمتي كويس.

- آه كويس جدًا.. إنما فين «علاء»؟.. لسه نايم.

- نايم إيه.. ده في الأرض من الفجر.

- طب أنا ممكن أروح له؟.

وانطلقت «هانم» إلى أرض الحاج إسماعيل برفقة أحد الخفر الذي كلفه العمدة بأن يُركبها على «الحمار» وأن يصطحبها حتى الأرض الشرقية، حيث يعمل «علاء» هناك مع العمَّال، ولم تحاول «هانم» طيلة الطريق أن تتحدث إلى الخفير، إلا أنه كان مصممًا أن يفتح معها أي حديث.

- إنما تعرفي يا ست هانم.. سي علاء ده جدع قوي وشهم.. طب ده في مرة كان في حريقة في البلد والناس اتلمت بس خافوا يدخلوا ينقذوا المواشي.. أصل النار كانت عالية وشديدة.. بس هو النبي حارسه وصاينه ما خافشي.. دخل وفي إيده سكينة وقام قاطع أحبال المواشي وخرَّجهم من البيت.. ربنا يحميه.

ووصلت «هانم» إلى الأرض ولاحظت وقوف «علاء» أمام العمَّال وفي يده عصا يشاور بها إليهم.. وما إن رأها حتى ذهب إليها وسلم عليها، وطلب منها الجلوس في الظل تحت شجرة التوت بجوار الساقية حتى ينتهي من عمله.

وظلت «هانم» ترقب «علاء» وهو يقود العمَّال.. وكيف أنه يكون حازمًا معهم.. يعلو صوته ويأمرهم.. وكيف بعد قليل يضحك معهم.. ورأت في «علاء» المعنى الكامل للرجل القائد.. الشجاع.. الكريم.. القوي، الذي حملها بين ذراعيه، كأنه يحمل قطة.. وجاءها صوت «علاء» للعمَّال:

- يلا يا جماعة.. نوبة غدا وصلاة.. قدامكم ساعة.

وتفرق العمَّال من حول «علاء» الذي حضر إلى حيث تجلس «هانم»، ووضع عصاه، ثم استأذن ليغسل يده ووجهه من الطلمبة الموجودة على رأس الحقل، وعاد إليها بعد قليل سائلاً إياها عن كيفية نومها ليلة أمس.

- الحمد لله.. نمت كويس جدًا.

- اوعى يكون الناموس ضايقك بالليل.

- مش قوي.. المهم أنا كنت عايزة اسألك.. أنت مش مرتبط ولا بتحب؟

- ههههههه.. ارتباط إيه يا «هانم»؟.. إحنا هنا في عزبة حلمي مش في مصر.. البنات هنا حتى الرجالة ما يعرفوش الحب والكلام ده.. الناس هنا حياتهم بسيطة بيتزوجوا علشان يخلفوا ويكملوا الحياة.

- طب والحب؟.

- موجود في العشْرَة.. في الولاد.. في الحياة.

- يعني أنت عمرك ما حبيت؟.

- أنا اليوم اللي هاحب فيه هتبقى الإنسانة دي مراتى.. وأنا مش مستعجل على الجواز.. بس أبويا الحاج هو اللي عمال يقولي: نفسي أشوف عيالك قبل ما أموت.

- وأنت ليه مش عايز تتجوز وتفرح والدك.

- سألني.. وبصراحة أنا مش فاضي.. ورايا الأرض والمواشي ومصالح أبويا كلها.. أنا بقى اللي عايز أقولك على حاجة لو تسمحي طبعًا.

- أكيد اتفضل.

- حياة الإنسان - أي إنسان - عبارة عن مجموعة مواقف.. موقف بيعمله حلو تفضلي تحبيه وتحترميه وتقدريه طول حياتك.. وموقف تاني ممكن يعمله تكرهيه وتكرهي اليوم اللي قابلتيه فيه طول حياتك.. وفي كل الأحوال الموقف ده بيكون نتاج تربية الشخص ده في بيته.. وكمان عايز أقولك حاجة تانية.. أسعد لحظات في حياة أي إنسان طبيعي لما يحس إن اللي حواليه فرحانين وأنه قادر يسعدهم.

– وعلشان كده سبت دراستك علشان تساعد والدك.. ورميت نفسك في الترعة علشان تنقذني.. أنت إنسان عظيم.. وأنا كمان عايزة أقولك حاجة لو تسمح.. أنت أعظم إنسان قابلته في حياتي.. وأوعدك أول ولد أخلفه هاسميه على اسمك.. «علاء».

واستكملت «هانم» رحلتها في المنيا، وهى سعيدة بل فخورة بمعرفة «علاء».. وحاولت خلال الأيام التى قضتها هناك أن تتعلم منه ما لم يعلمه لها والدها أو والدتها.. فتعلمت كيف تصلي وقرأت لأول مرة في القرآن الكريم..

وبدأت تغير تفكيرها في أشياء كثيرة.. وقررت أن تبدأ مع نفسها مرحلة جديدة تكون فيها «هانم» التى لا تقل عظمة عن «علاء» الذي استطاع بأخلاقه وشهامته أن ينال احترام الجميع.

7

عادت «هانم» إلى القاهرة بعد أسبوعين قضتهم في رحاب المنيا.. رحاب «علاء» الذي تمنت أن تكون مثله.. رحاب الناس البسيطة التى لا تحمل في قلوبها سوى الحب والطهارة والنقاء.. عادت وهى مملوءة بالأمل أن تبدأ حياة جديدة، حياة يملؤها التفاؤل وتقدير الذات وإسعاد الآخرين، وقررت أن تبدأها بإصلاح علاقتها مع شقيقها «سمير» والتقرب من والدتها والحصول على رضا والدها.

في هذه الأثناء بدأت «هانم» تشعر بتغير في لون وجه والدها وتصرفاته، فلم يعد يتأخر في العيادة أو المستشفى كما كان يفعل، ولم يعد يضحك معها كعادته.

- إنما بابا ماله يا ماما؟.. وشه مخطوف.

- شوية تعب يا «هانم».. ما تشغليش بالك.

ورأت «هانم» بعدما عرفته من والدتها أن فرصتها لإسعاد والدها وإثبات أنها لا تقل عن عظمة «علاء» وشهامته قد أتت فقررت أن تسعد والدها وأن ترافقه طيلة فترة مرضه وأن تلبي له كل احتياجاته وطلباته،

ولأنها المرة الأولى التى تقترب فيها «هانم» من والدها فقد لاحظت أنه يدخن التبغ بشراهة، ثم عرفت بعد ذلك أن السجائر التى يدخنها والدها مملؤة بالحشيش، وبحكم سنها وخبرتها لم تكن تعرف ما هو الحشيش ولا أضراره أو فوائده؟.

– ده نبات طبيعي يا حبيبتي علشان يعدل المزاج ويذهب بالصداع.. حاجة كده بدل الأسبرين.. المهم سيبك مني أنا يا بنتي عايز أأمن لك حياتك قبل ما أموت.. عايزك تكملي تعليمك ويبقى معاكي شهادة كبيرة تنفعك بعدين.. وعلشان كده أنا رحت النهارده الصبح المدرسة عندك سحبت الملف وقدمت لك في مدرسة «سانت كلير الثانوية» ودي أكبر وأهم مدرسة في مصر كلها.. مش عايزك تقصري رقبتي يا «هانم».. عايزك تجيبي مجموع تدخلي بيه كلية محترمة «طب – هندسة – صيدلة – تجارة» خلاص اتفقنا.

– اتفقنا يا بابا.

وخلال الأيام التى سبقت بداية الدراسة استمرت محاولات «هانم» في التقرب من «سمير» والتودد إليه، لكنها كانت دائمًا تفاجأ بابتعاده عنها وصدها، فقررت أن تهتم بوالدها وأن تجهِّز نفسها للمرحلة الثانوية،

وكانت منطقة مصر الجديدة في هذه الأثناء قد بدأت تزدحم بالسكان وانتشرت فيها محلات الملابس التى تعرض أحدث الموديلات وأرقى الأنواع، واختارت «هانم» أن تعتمد على نفسها وأن تنزل هى إلى المحلات لتختار ما يناسبها من ملابس وألوان.

واختارت «هانم» أحدث موديل كان معروضًا في أحد المحلات وكان عبارة عن جيبة قصيرة فوق الركبة وعليها بادي ضيق بأكمام طويلة، وتتذكر «هانم» أنها اشترت في هذا اليوم شنطة جديدة وحذاء بكعب عال.. وجمعت كل ما اشترته في شنط بلاستيكية واتجهت في طريق العودة للمنزل.

وبينما تسير «هانم» على الرصيف استوقفها أحد المحلات التى تبيع أجهزة التليفزيون الذي كان حديث العهد في مصر في ذلك الوقت، فدفعها الفضول أن تقف وتتفرج على هذا الجهاز العجيب الذي يعرض صورًا متحركة، ووقفت أمام أحد الأجهزة تفكر في أن تقنع والدها بأن يشتري لهم هذا الجهاز وإذ بصوت يأتيها من داخل المحل.

- اتفضلي يا «هانم».

سكتت قليلاً وقبل أن تلتفت لترى مصدر الصوت سألت نفسها ومن يعرفني هنا ليطلب مني الدخول؟.. فاستدارت وإذا بشاب أبيض ذى شعر ناعم في بداية العشرينيات يبدو من ملابسه أنه ابن ناس.

- هو حضرتك تعرفني؟.

- لا.

- أُمال عرفت إني «هانم» منين؟

- باين عليكي أنك هانم.

فضحكت «هانم» ووافقت على طلبه بدخول المحل وطلبت منه أن يشرح لها كيف يعمل هذا الجهاز العجيب وكيف يعرض الصور.

- أصل بابا ناوي يشتري واحد، فقلت اتفرج علشان أعرف إيه أحسن نوع.

- أنتي تؤمريني يا هانم.. تشرفوا في أي وقت.. إحنا بنفتح كل يوم من 10 صباحًا ما عدا الأحد بس إجازة وأنا اسمي «حسام عباس».

وعادت «هانم» إلى البيت وهى مبهورة بهذا الجهاز ومصممة أن تقنع والدها بأن يشتري لهم واحدًا منه.. وفي اليوم التالي ذهبت «هانم» إلي نفس المحل مرة أخرى والتقت «حسام» مرة أخرى واعتذرت منه لأنها نسيت أن تسأله بالأمس عن سعر التليفزيون، فأخبرها بذلك وسألها عن سر رغبتها في شراء التليفزيون.. وسألته عن الأنواع والماركات المختلفة.

- وعمومًا ده كارت فيه رقم التليفون ممكن تتصلي بيّ في أي وقت وتسأليني عن أي حاجة تعوزيها.

أرادت «هانم» أن تخبر «حسام» أن منزلهم حتى الآن لم يتم تركيب تليفون به لكن أحرجت وآثرت الصمت.. عادت «هانم» إلى المنزل وانتظرت حتى عاد والدها من العيادة وطلبت منه أن يشتري لهم جهاز تليفزيون، فوعدها أن يفعل هذا ولكن أول الشهر.

وظلت «هانم» تنتظر قدوم أول الشهر بفارغ الصبر.. ولا تعرف حتى الآن سر انتظارها واستعجالها هل لتشتري التليفزيون أم لترى «حسام»؟.. لكن لماذا ترى «حسام»؟.. ولماذا تفكر فيه من الأساس.. هل لأنه شاب شيك أم لأنه ابن ناس؟.. أم لأنه متحدث لبق أم لماذا؟.

وظلت «هانم» في حيرة إلى أن وجدت قدميها تستدرجها إلى السنترال وتعطي الكارت للموظفة طالبة منها أن تطلب لها هذا الرقم، ودخلت هانم إلى الكابينة وجاءها صوت «حسام» الناعم من الناحية الأخري.

- ألو.. ألو.. مين؟.

وارتبكت «هانم» ولم تستطع أن ترد، ولم تعرف ماذا تقول له وبماذا تتحجج لتسمع صوته وتتحدث معه، فأغلقت الخط وخرجت إلى الموظفة تخبرها بأن الرقم لم يجب، مؤكدة أنها ستأتي لتتحدث لاحقاً، وظلت «هانم» على حيرتها هذه حتى جاء أول الشهر واصطحبها والدها إلى محل بيع التليفزيونات في ميدان روكسي لشراء التليفزيون الجديد، ووجدتها «هانم» فرصة لأن ترتدي الطقم الجديد، الذي اشترته مؤخرًا.

وصل الدكتور صالح ومعه «هانم» إلى المحل وقد هال حسام المفاجأة أن يرى فتاة كاملة الأنوثة تضع قليلاً من المكياج على وجهها تقف أمامه لكن من هذا الرجل الذي يقف معها، لابد أنه والدها.. لكنه لا يشبهها.. لا يهم.

- أهلاً وسهلاً يا أفندم.. نورتم المحل.

- عايزين نشتري تليفزيون جديد.

وقام «حسام» بإخراج جهاز تليفزيون جديد من الكرتونة وقام بتشغيله وتجريبه لهم، ثم وضعه في كرتونته مرة أخرى، وتسلم ثمن الجهاز وكتب له الفاتورة.

– اسم حضرتك وعنوانك ورقم التليفون.

– ليه هاتطلعوا ليّ بطاقة.

– لا يا أفندم علشان التركيب والصيانة.

وطوال وقت البيع لم ينزل «حسام» عينيه من على «هانم».. كان يود أن يحدثها ويعبر لها عن جمالها وأنوثتها الطاغية، وروعة ملابسها لكنه كان يخشى من رد فعل والدها، وكانت «هانم» هى الأخرى تود أن تتحدث لحسام لكنها كانت تخاف هى الأخرى من والدها.

انطلق الدكتور صالح وابنته حاملين جهاز التليفزيون بعد أن ركبوا تاكسي طالبين منه توصيلهما حتى المنزل.

مر اليوم الأول على التليفزيون وهو مازال في كرتونته.. وفي اليوم الثاني ذهبت «هانم» إلى السنترال وطلبت «حسام» على تليفون المحل، وطلبت منه الحضور لتشغيل التليفزيون، فقال لها: إن هذه ليست مهمته لكنه سيأتي من أجلها فقط.. وخلال المكالمة عبر حسام لهانم عن إعجابه بالملابس الفاتنة التى كانت ترتديها،

وهو ما دفع «هانم» للسكوت والاستمتاع بكلمات الإعجاب التى لم تسمعها منه.

– خلاص هستناك بعد ما تخلص شغل النهارده تيجي تشغل لنا التليفزيون.

– لأ.. النهارده مش هاينفع لأننا بنقفل المحل متأخرين.. خليها بكره في فترة الراحة بتاعة الضهر.

ووجدتها «هانم» فرصة أن يتم تأجيل الموعد للغد حتى تكون قد أعدت نفسها لهذه المقابلة، لم تعد إلى المنزل بعد انتهاء المكالمة وتوجهت إلى «الكوافير» القريب من السنترال وقامت بتصفيف شعرها وتخفيف حواجبها للمرة الأولى، ثم توجهت بعد ذلك إلى محل الحلويات واشترت نصف دستة جاتوه من أجل «حسام» وعادت إلى المنزل بعدها.

جلست «هانم» منذ صباح اليوم التالي حائرة في غرفتها ماذا سترتدي حتى تعجب «حسام»، هل ترتدي نفس الملابس الذي رأها بها في المرة السابقة وأعجبته؟.. أم تبحث في دولاب ملابسها عن أشياء أخرى؟.. وظلت في حيرتها لا تدري ماذا تفعل حتى اقترب موعد الزيارة فهرولت إلى دولاب ملابسها وأخرجت الطقم الجديد الذي ارتدته يوم أن ذهبت مع والدها إلى المحل لشراء التليفزيون، وذهبت إلى غرفة نوم والدتها وأخرجت علبة المكياچ ووضعت بعضًا منه على وجهها وبحثت عن مُلمع الشفاة حتى تزيد من بريق وجهها وجمال منظرها.. وأخرجت زجاجة العطر التى اشترتها والدتها مؤخرًا ووضعت كثيرًا منها على ملابسها.

ودق جرس الباب وخرجت «هانم» من غرفتها مسرعة لتفتح الباب، فبالتأكيد سيكون الطارق هو حسام ولابد أن تكون في استقباله.

- «هانم».. أنتي رايحة فين.. وإيه اللي أنتي لابساه ده؟.

وهكذا جاء صوت شقيقها «سمير» من الخلف، فتوقفت «هانم» مكانها وذهب هو ليفتح الباب بعد أن طلب منها أن تدخل إلى غرفتها وأن تهد «المسخرة» التى وضعتها على وجهها.

- أيوه.. مين حضرتك؟.

- أنا «حسام» من محل بيع التليفزيونات وجاي علشان التركيب.

ودخل حسام إلى الشقة وتفحص محتوياتها بسرعة.. شقة بسيطة.. أثاثها عادي به قليل من الذوق والرقة.. لكن أين «هانم».

لم يحاول «حسام» أن يضيع الوقت في التساؤلات التى لا فائدة منها، فبدأ بسرعة في تركيب التليفزيون وتشغيله قبل انتهاء ساعتي الراحة، وطلب من «سمير» أن يدخل إلى البلكونة ويمسك بالإريال ويحركه حتى يقوم بضبط القنوات.

وفي هذه الأثناء كانت «هانم» تفكر في كيفية التحدث لحسام وسألت نفسها ماذا لو خرجت واحتكت بسمير، وبعد طول تفكير اهتدت لفكرة جيدة تسمح لها برؤيته والتحدث معه، فدخلت إلى المطبخ وأخرجت الجاتوه ووضعته على طاولة تقديم الطعام ذات منظر أنيق، ووضعت كوبًا من الشاي، ثم خرجت إلى «حسام» الذي ما إن رأها حتى وقف مذهولاً من هول ما يرى، فقد ازدادت «هانم» جمالاً وتفجرت أنوثتها عن آخر مرة رأها فيها.

وبسرعة وحتى لا تحتك بسمير وضعت هانم الصينية على الترابيزة الموجودة في الصالة أمام التليفزيون دون أن تتفوه بكلمة واحدة، ثم ابتسمت لحسام ووضعت ورقة صغيرة على الصينية التقطها «حسام» بسرعة ووضع إياها في جيبه، ولم يحاول أن يتحدث إليها وأكمل عمله بسرعة وانصرف.

وقبل أن ينصرف «حسام» دخل سمير إلى الغرفة ثم خرج ببعض النقود التى حاول إعطاءها لحسام لكنه رفض ذلك، مؤكدًا أن هذه ليست مهنته وأنه حضر فقط من أجل الدكتور صالح.. ثم استأذن في أدب وانصرف، وعلى باب الشقة مد «حسام» يده بسرعة في جيبه ليخرج الورقة ويقرأ ما كتبته «هانم».. وبمجرد أن فتح الورقة حتى ابتسم ودسها مرة أخرى في جيبه ونزل متجهًا إلى المحل.

جلست «هانم» في غرفتها حزينة لعدم مقدرتها على التحدث لحسام، وقلقها من التصرف الذي فعلته والورقة التى كتبتها له والموعد الذي واعدته إياه.

– وده اسمه كلام برضه يا «هانم» تكتبي جواب لحد ما تعرفهوش.. مش ممكن يستغل الورقة دي ويديها لبابا أو لسمير.

– ما أعتقدش أنه يعمل كده.. أخلاقه وتصرفاته تقول إنه مش ممكن يعمل كده.. وبعدين حتى لو فكر يعمل كده أنا هأنكر إني عملت كده.. المهم تفتكري أنه هايجي بعد بكره في الميعاد.

– ما تستعجليش.. فاضل بكره ونشوف.

قضت «هانم» يومها تعد ملابسها وحذاءها للمدرسة التى ستكون غدًا السبت أول أيامها، حرصت على أن تظهر في أول يوم بمظهر الفتاة المتزنة والعاقلة وفي نفس الوقت الجميلة المتألقة.. ونامت مبكرًا حتى تتمكن من الذهاب في الصباح إلى المدرسة لمعرفة كيف تدور الأحداث هناك.

أيقظت «ليلى» ابنتها هانم في السادسة صباحًا حتى لا تتأخر على المدرسة، وطلبت من سمير أن ينزل إلى الشارع ليشتري خبزًا طازجًا لتصنع لهما السندويتشات، ودخلت «هانم» إلى الحمَّام وغسلت وجهها ثم عادت إلى غرفتها فارتدت ملابس المدرسة الموحدة، ثم جلست إلى منضدة الطعام وتناولت شيئاً يسيرًا ووضعت السندويتشات في شنطتها وانطلقت.

على باب المدرسة تقابلت «هانم» مع «يوسف» لكنها لم تبال به ولا بوجوده فقد كان أمامها مستقبل تحاول أن تضع قدميها على أول درجة في سلمه، وأب ينتظر أن يفرح بها، ودخلت إلى المدرسة ووقفت في الطابور حتى تم النداء عليها وعرفت الفصل الدراسي الذي ستنضم إليه.

وجاء ترتيب «هانم» في فصل 1/ 2 ودخلت وجلست بجوار فتاة متواضعة الجمال، تعرفت عليها، فعرفت أن اسمها «نيرمين» وأن والدها كان مديرًا عامًا بإحدي الشركات لكنه توفي.

انتهي اليوم الدراسي الأول وعادت «هانم» إلى منزلها سعيدة بصديقتها الأولى وبالمدرسة، ودخلت «هانم» إلى غرفتها وجلست تفكر في يوم غد الأحد.. موعد لقاء «حسام» سيكون يوم إجازته.. هل سيحضر أم سيتجاهل الأمر؟.

استيقظت «هانم» في الصباح حتى لا تتأخر على موعد المدرسة، وقامت بتجهيز الشنطة ووضعت فيها كل الكتب التى تحتاجها، وغافلت والدتها ودخلت إلى غرفة نومها فاستعارت بعض أدوات المكياج وملمع الشفاة ووضعتها في جيب داخلي من جيوب الشنطة علها تستخدمها عندما تلتقي «حسام» بعد انتهاء الدراسة.

وصلت «هانم» إلى المدرسة ودخلت إلى الفناء لحضور طابور الصباح، وبحثت عن صديقتها «نيرمين» حتى وجدتها فوقفت بجوارها، وعقب انتهاء الطابور توجها سويًا إلى الفصل، وهناك تحدثت «نيرمين» عن والدها وعن شقيقتها التى تركت دراستها في الجامعة حتى تعمل لتدبر لها ولشقيقتهما الثالثة مصاريف المدارس والمعيشة بعد وفاة والدها، ثم انتقلت للحديث عن «فتحي» الشاب الذي تحبه منذ عامين، والذي يعمل في محل والده وهو ما شجع «هانم» لأن تحكي لصديقتها عن «حسام» وكيف أنها تعلقت به من أول نظرة حتى من قبل أن تتحدث معه أو تعرف عنه أي شيء.

انتهى اليوم الدراسي وخرجت «هانم» برفقة «نيرمين» وقد هالها أن ترى «حسام» واقفاً أمام باب المدرسة من الجهة الأخرى، فغمزت «نيرمين» في يدها وأشارت إليها، ففهمت «نيرمين» وهمَّت بالانسحاب لتفسح لهما الطريق، إلا أن «هانم» رفضت وأصرَّت أن تحضر اللقاء.

- كنت خايفة ما تجيش.

- ودي معقولة برضه ما أجيش الميعاد بتاعك.

- صحيح نسيت أعرفك.. دي «نيرمين» صاحبتي وزميلتي في الفصل.

وانطلق الثلاثة من أمام المدرسة دون أن ينطق أحدهم بكلمة، وأحس «حسام» أن «هانم» قد أتت به لتفرجه لصديقتها وهو ما شعرت به «نيرمين»، فاستأذنت من «هانم» أن تنصرف كي لا تتأخر على والدتها وشقيقتها الصغرى.

سادت حالة من الصمت بين «هانم» و«حسام» بعد انسحاب «نيرمين»، فلا أحد منهما يعرف من أين يبدأ الكلام ولا ماذا يقول.. حتى تحدث «حسام»:

- تعرفي أنا استغربت جدًا لما دخلت البيت عندكم وما لقتكيش موجودة.. قعدت أقول لنفسي إيه الحظ ده يبقى معقول أجي مخصوص علشان أشوفها وهى مش موجودة.

- تعرف إني كنت بجهز ليوم زيارتك من قبلها بيومين.. بس أعمل إيه في «سمير» أخويا هايفضل زي ما هو.. يحب يعمل راجل عليّ.. ومع إني حاولت كتير أصلح العلاقة معاه بس هو عايز يفضل زي ما هو.

- هو إحنا هانقضي الوقت كله نتكلم عن «سمير».. أنا عايز أتكلم عنك إنتي.. إنتي مين؟.

- أنا واحدة عادية جدًا.. اسمها «هانم».. بابا بيشتغل دكتور وماما انجليزية وعندي أخ واحد بس اسمه «سمير».. خلاص.. أنت بقى مين؟.

- أنا حسام عباس.. في آخر سنة في كلية تجارة وبشتغل في معرض عمي في فترة الإجازة وعندي أخت اسمها «ليلى» في سنة أولى كلية آداب.. حاجة تانية عايزة تعرفيها.

واستمرت «هانم» و«حسام» في السير وأخذهما الحديث حتى وجدت «هانم» نفسها قد تأخرت عن موعد رجوعها، فاستأذنت من «حسام» حتى لا تتأخر وتقع في صدام مع «سمير».

- طب هاشوفك تاني أمتي؟.

- بكره في نفس الميعاد ونفس المكان.

وتكررت لقاءات «حسام» و«هانم»، وكان كل يوم يمر عليها تزداد تعلقاً به وحبًا له، وتذكرت «هانم» أنها تغيب عن المدرسة أكثر من مرة لقضاء اليوم بأكمله مع «حسام» وتذكرت أول مرة كانت أمام باب السينما وتوالت بعدها اللقاءات، فمرة في الأهرامات، ومرة على الكورنيش، ومرة في شوارع وسط البلد.

عامان بأكملهما عاشتهما «هانم» مع «حسام» كانا بحق أحلى أيام حياتهما، فخلالهما ذاقت حلاوة الحب وعرفت كلماته واستمعت لأغنيات عبدالحليم حافظ وأم كلثوم، وسهرت الليالي الطويلة تفكر في «حسام»، وفي اليوم الذي تصبح فيه زوجته، إلى أن كان هذا اليوم المشئوم الذي ضربها فيه «سمير» لأول مرة في حياتها.

كعادتها اتفقت مع حسام أن يخرجا سويًا واختارت شوارع وسط البلد ليقضيا فيها اليوم، وبينما هى تمشي في الشارع ويدها متشابكة في يد «حسام» وإذ بشقيقها «سمير» أمامها، لم تعرف ماذا تفعل ولا كيف تتصرف؟،

كل ما تتذكره أنها سحبت يدها من يد «حسام» قبل أن يهجم عليه «سمير» وأصدقاؤه ويشبعونه ضربًا.

يومها عادت «هانم» إلى المنزل بعدما ضربها «سمير» في الشارع أمام «حسام» وأمام أصدقائه، رجعت المنزل ودخلت إلى غرفتها وحبست نفسها فيها ولم تخرج إلا على صرخات أمها المتتالية.

مات الدكتور صالح.. مات متأثرًا بجرعة زائدة من المخدرات التى كان قد أدمنها مؤخرًا.. مات وترك «هانم» في قبضة «سمير» الذي لا يحبها.

خرجت «هانم» من غرفتها ودخلت مسرعة إلى غرفة أبيها لتجده ملقيًا على سريره، وسمير ووالدتها يقفان ينظران إليه، والجميع يقف في ذهول ماذا سيفعلون في هذا الموقف؟.. ساعتان كاملتان قضتها أسرة الدكتور صالح تفكر فيما ستفعل حتى صرخت «هانم»:

- الحاج إسماعيل.. البلد.

وعلى الفور تحرك «سمير» إلى السنترال حاملاً رقم تليفون الحاج إسماعيل في عزبة حلمي، وتحدث إليه وأخبره بالأمر، فأمره بألا يفعل شيئاً حتى يصل هو ومن معه ليدفنوه في العزبة مع باقي العائلة.

أسبوعان كاملان تغيبت فيهما «هانم» عن المدرسة.. أسبوعان قضتهما في العزبة، فبعد الدفن رفض الحاج إسماعيل أن يغادروا وأصرَّ على جلوسهم في العزبة حتى ولو لأسابيع، ووجدتها «هانم» فرصة لتتحدث مع «علاء» وتأخذ رأيه في علاقتها مع «حسام» وما آلت إليه أحوالها مع «سمير».

– خلاص يا «هانم» لو بيحبك صحيح يجي يتقدم لك ويخطبك.

– طب و«سمير».

– سيبك منه أنا هاكلمه.

وعادت «هانم» إلى القاهرة ورجعت إلى المدرسة في اليوم التالي لوصولها، واستقبلتها «نيرمين» بلهفة وحيرة لغيابها المفاجئ عن المدرسة، فأخبرتها «هانم» بموضوع وفاة والدها ومكوثها في البلد لأسبوعين.

– البقاء لله.. ده أنا افتكرت حصل لك حاجة بعد ما «سمير» أخوكي شافك مع «حسام».

– وأنتي عرفتي الحكاية دي منين؟.

– ما هو «حسام» جالك هنا كتير.. وحكى لي لدرجة إني اتوغوشت عليكي وفكرت أجي أسأل عليكي في البيت بس العنوان مش معايا.

وأنهت «هانم» يومها الدراسي، وفوجئت بحسام يقف على باب المدرسة كعادته.. نظرت إليه في ألم وتمنت لو جرت إليه وارتمت في حضنه وبكت.. تماسكت قدر المستطاع إلا أن دموعها غلبتها وتساقطت أمامه.

– أنا آسف يا «هانم» ماكنش قصدي أسبب لك مشكلة.. ده أنا حتى كنت عايز أجيب والدتي وأختي ونيجي لك البيت بس خفت ليحصل مشاكل.

وهكذا اختصر «حسام» بدون أن يقصد مسافات طويلة كانت «هانم» تبحث عن طريق لتسلكه، كيف ستطلب منه أن يأتي ليخطبها ولكنها جاءت منه.

– خلاص شوف ممكن تيجي تقابل ماما أمتى؟.. بس يكون بعد الأربعين.

– أربعين.. أربعين مين؟.

– بابا تعيش أنت وسافرنا البلد.

واستكملت «هانم» سيرها مع «حسام» في الشارع وهى بين إحساسين متناقضين، فهى فرحة بقرار «حسام» الحضور لخطبتها، وفي نفس الوقت قلقة من أن يقابلها «سمير» مرة أخرى.. وفي هذه المرة لا تضمن العواقب ولا تعرف كيف سيتصرف معها «سمير»، ففي المرة الماضية ضربها في عرض الشارع أمام «حسام».. فيا ترى ماذا سيفعل هذه المرة؟!.

- معلش يا «حسام».. مش هاينفع أكمل مشي معاك أحسن «سمير» يقابلني والأمور تتعقد أكتر.

- طب هاشوفك تاني أمتى؟.

- لما تيجي تزورنا في البيت.

وانصرفت «هانم» وهى لا تعرف إن كان ما فعلته مع حسام صحيحًا أم لا؟..

ووصلت البيت ولأول مرة تحس بوحشته دون والدها، فرغم أنه لم يكن يجلس في المنزل أوقاتاً طويلة، إلا أن الساعات القليلة التى كان يجلسها كان يضفي علي الجميع البهجة والسرور.. يكفي أنها أصبحت تحت قبضة «سمير» يتحكم فيها كيفما يشاء.

- إنتي قصدك أنه ممكن ما يوافقش على «حسام» أو يتخانق معاه تاني.. دي تبقى مصيبة.

- خلاص اعرفي هو «حسام» ناوي يجي أمتى واتصلي بـ «علاء» في البلد خليه يأتي بوالده، وكأنهم في زيارة عادية.

وعلى مدى الأيام التى تلت مقابلة «هانم» و«حسام» التى لم توافق على السير معه فيها، كان «حسام» يذهب يوميًا أمام باب المدرسة ليرى «هانم» وهى خارجة برفقة صديقتها «نيرمين»، وكان بمجرد رؤيتها يختبئ خلف إحدى الأشجار العالية الموجودة بالمنطقة حتى لا تراه ويسبب لها حرجًا.

اتخذ «حسام» قرارًا بأن يتقدم لـ«هانم» ويخطبها وقبل أن يخبر والدته بالأمر خطر في رأسه شقيقها «سمير».. إنه مازال شابًا متهورًا من الممكن أن يتشاجر معه أمام والدته وشقيقته ويقلل من قيمته أمامهن.. وظل يفكر في الأمر حتى قرر أن يذهب لـ«هانم» في اليوم التالي ويحكي لها عن تخوفاته.

انتظر «حسام» «هانم» على باب المدرسة حتى يراها لكنها لم تخرج برفقة «نيرمين» كعادتها، ظل واقفاً حتى خرجت «نيرمين» وحدها.. فأسرع إليها وسألها عن «هانم» فأخبرته أنها تغيبت اليوم بسبب إقامة أربعين والدها.

تردد «حسام» هل يحكي لـ«نيرمين» تخوفاته أم يكون بذلك يفشي أسرار محبوبته؟، وبعد لحظات فاتح «نيرمين» وأخبرها بخوفه من «سمير» وتصرفاته.

- ما تقلقش «هانم» عاملة حسابها.. عرفها بس قبلها بيومين إنكم هاتزوروهم وهى هاتظبط كل حاجة.

- خلاص عرفيها إننا رايحين يوم الجمعة.

وكما فكرت «هانم»، ففور معرفتها بموعد زيارة «حسام» وعائلته اتصلت بـ«علاء» في البلد وأخبرته بالأمر وطلبت منه ومن والدها الحاج إسماعيل الحضور حتى لا يرتكب «سمير» أي تصرفات صبيانية.

وفي صبيحة الجمعة حضر الحاج إسماعيل ومعه «علاء» ومعهما «زيارة» كبيرة من البلد مليئة بالسمن والفطير والجبن والعسل، وتحدث الحاج إسماعيل مع «سمير» عن ضرورة معاملة شقيقته ووالدتها برفق وباحترام، خاصة بعدما أصبح «راجل البيت»، كما طلب من «هانم» أن تستمع إلى كلام شقيقها الذي يُعد في منزلة والدها.

قبيل المغرب دق جرس الباب، وقام سمير بفتح الباب ليفاجأ بالشاب الذي ضبطه مع شقيقته في شوارع وسط البلد أمامه، حاول أن يضربه أو يزجره بسبب جرأته التي جعلته يأتي لها حتى المنزل لكنه سكت خوفاً من أن يعرف الحاج إسماعيل أو ابنه ما حدث وتبقى فضيحة.

- ممكن ندخل؟.. إحنا عايزين الست الوالدة في حاجة مهمة.

- اتفضلوا.

ودخل «حسام» ووالدته وشقيقته «ليلى» إلى غرفة الصالون، ودخل إليهم الحاج إسماعيل ومعه «سمير»، فيما انتظر «علاء» بالخارج مع «هانم» التى دخلت إلى غرفة والدتها توقظها لمقابلة الضيوف.. وبعد ما يقرب من ساعة من الحديث الدائر في الغرفة المغلقة جاء صوت الحاج إسماعيل عاليًا:

- خلاص يا ابني سيب لنا عنوانك وإحنا هنسأل عليك ونبعت لك الرد.. ويا ريت المرة الجاية تبقى تجيب لنا حد كبير من عيلتك.. عمك أو خالك علشان نتفق معاه على التفاصيل.. متأخذنيش إحنا صعايدة ودي عادتنا.

وعقب انصراف حسام وعائلته استأذن الحاج إسماعيل في أن يصل «مشوار» مع ابنه «علاء» ومعهما «سمير»، حيث ذهبوا في العنوان الذي تركه لهم «حسام» وسألوا عنه وعن والده، وذهبوا إلى محل عمه في ميدان روكسي، وبعد أن عادوا إلى شقة الدكتور صالح، طلب الحاج إسماعيل من «سمير» الانتظار يومين أو ثلاثة والاتصال به وإخباره بالموافقة، وبالحضور أول جمعة في الشهر الجديد لقراءة الفاتحة.



8

تمت خطبة «هانم» على «حسام» في حفل عائلي مصغر لم يزد حاضروه على عشرة أفراد، وانطلقت «هانم» بعدها تعبر لـ«حسام»عن مشاعرها بحرية.. واعتادت أن يوصلها كل يوم بعد انتهاء المدرسة حتى باب المنزل، وكم تغيبت عن المدرسة لقضاء اليوم بأكمله معه في التنزه ومشاهدة محلات الملابس ومحلات الأثاث، إلى أن فوجئت «هانم» بأن امتحانات الثانوية العامة قد اقتربت وهى لم تذاكر شيئًا طوال العام.

– معلش يا «حسام»..هانشغل عنك شوية.. الامتحانات على الأبواب وأنا ماذكرتش كويس طول السنة، وأنت عارف السنة دي آخر سنة، وأنا نفسي أحقق حلم بابا الله يرحمه وادخل كلية كويسة زي ما كان بيحلم.

وحاولت «هانم» خلال الفترة التى تلت هذا الكلام التى كانت عبارة عن أسابيع محدودة أن تحتوي المقررات وأن تجتهد في المذاكرة والحفظ، ولكن لأن ما

يتم شرحه ومذاكرته في عام كامل لا يمكن جمعه في أسبوعين أو ثلاثة، فقد شعرت «هانم» بخيبة أمل كبيرة بعد خروجها من لجنة الامتحان في أول يوم حيث بكت كثيرًا لأنها لم تتمكن من الإجابة عن كل الأسئلة، وتكرر بكاء «هانم» في باقي المواد وأيقنت أنها لن تنجح وستعيد العام بأكمله.

ظهرت النتيجة النهائية وفوجئت «هانم» بنجاحها في الامتحانات.. صحيح أنه مجموع صغير لا يمكن أن تدخل به كلية، إلا أنها نجحت.. واتصلت بـ«حسام» وأخبرته بنجاحها فأخبرها أنه سينظم حفلة صغيرة بهذه المناسبة وسيخبرها بمفاجأة حدثت له صباح اليوم.. لم تبال «هانم» كثيرًا بالحفلة ولا بالمفاجأة، وعادت إلى المنزل لتفاجأ بـ«سمير» يحمد الله على عدم حصولها على مجموع كبير في الثانوية.

- كويس إنها جت منك وجبتي مجموع صغير ما ينفعش يدخلك جامعة.. يعني كنت هاجيبلك مصاريف جامعة منين.. ده يا دوب القرشين اللي بابا سايبهم بنصرف ونعيش منهم.

لم تصدم «هانم» في شقيقها ولم يغير كلامه فيها شيئاً، فقط زاد حنقها عليه وكراهيتها له وتذكرت كيف كان يكسر لعبها وهى صغيرة ويستولي عليها، وكيف كان يسرق اهتمام أمه وضحكات أبيه منها، ولكن ماذا ستفعل الآن؟.. هل تجلس في البيت لتصبح تحت أمر «سمير»؟.

– طبعًا لأ.. مش ممكن أديله الفرصة دي.. هانزل أدور على شغل واصرف على نفسي واشتري الحاجات اللي عايزاها.

وقررت «هانم» أن تخبر «حسام» فور رؤيته بأن يبحث لها عن عمل، ويا حبذا لو كان معه في محل عمه حتى تكون قريبة منه أطول فترة ممكنة، ولم تنتظر قدوم «حسام» يوم الخميس، كما اتفقا واستأذنت من والدتها في أن تنزل إلى الشارع لمقابلة «حسام» في أمر مهم.. واتجهت إلى السنترال واتصلت به وطلبت لقاءه بسرعة.

وصل الحبيبان أمام حديقة «مصر الجديدة» التى أصبحت فيما بعد حديقة «الميريلاند» وحاول «حسام» أن يهدئ من روع حبيبته وأن يفهم منها ما حدث بهدوء، وبعد أن حكت له ضحك «حسام» كثيرًا وقال لها:

– تعرفي إن دماغك صغيرة جدًا وكمان أنتي دايمًا مستعجلة.. لو صبرتي لحد لما أجي يوم الخميس عندكم كنت هاقولك إني كلمت خالي وهو مدير كبير في وزارة التعليم علشان يشوفلك وظيفة في أي مدرسة.

– ربنا يخليك ليا يا أحسن «حسام» في الدنيا.

وقامت «هانم» على إثر ذلك بطبع قُبْلة على يد«حسام»، حملت كثيرًا من معاني الشكر والعرفان بالجميل.. ورغم محاسبة «هانم» لنفسها على هذه القبلة كثيرًا بعد ذلك، إلا أنها كانت لها مفعول السحر لدى «حسام» إذ جعلته يشعر بأن «هانم» مسئولة منه وأنه حل محل والدها لدرجة أنه قام بإعطائها بعض النقود لتصرف منها على نفسها.

ورغم رفض «هانم» لأخذ تلك النقود منه إلا أنها قبلتها في النهاية وقامت بطبع قبلة أخرى لكن هذه المرة على خده.

لم يتمالك «حسام» نفسه وهو يشعر بحلاوة أول قُبْلة من حبيبته على خده، ولولا خوفه عليها وخجله من المارة لقام برد القُبْلة إليها، لكنه اكتفى بابتسامة حملت رغبة في احتضانها وتقبيلها من كل مكان.

– بس إنتي مسألتنيش إيه المفاجأة اللي قلتلك عليها في التليفون.

– هو فيه حاجة تانية غير موضوع الشغل بتاعي؟.

– طبعًا.. خطيبك هايبقى واحد من نجوم السينما.. النهارده عدى عليّ في المحل الفنان الضيف محمد «بتاع رباعي أضواء المسرح» كان جاي يشتري تليفزيون وعرض عليّ أشتغل معاهم في الفرقة.. قالي إن ملامحي تنفع تكون ملامح نجم.

لم تعرف بماذا ترد «هانم» على كلام «حسام» الذي كان مفاجأة بالنسبة لها.. هل تفرح له أم تحزن على تركه للتجارة في محل عمه وللمحاماة والعمل مع «المشخصاتية»؟!، فقررت أن تصمت وأن تكتفي بابتسامة صفراء لم يكن لها أي معنى.

انتهت مقابلة «حسام» وعادت «هانم» إلى منزلها لتفاجأ بوالدتها مريضة وتحتاج لأن تنقل إلى المستشفى، بحثت عن «سمير» فلم تجده، على الفور اتصلت بـ«حسام» وأخبرته بالأمر، فطلب منها أن تجهز والدتها حتى يحضر سيارة ليصطحبهما إلى المستشفى.. ولم يمر نصف ساعة إلا ووصل «حسام»، وعندما صعد إلى الشقة مع سائق التاكسي لحملها ونقلها إلى المستشفي إذ بها قد ماتت.

عاشت «هانم» بعد ذلك في البيت وحيدة هي وسمير وجهًا لوجه، قررت أن تخرج من عزلتها وتخرج لتبحث عن عمل بعد أن تجاهل قريب «حسام» موضوع عملها كمدرسة، وفي أحد الأيام ارتدت ملابسها ونزلت إلى محلات منطقة «مصر الجديدة» تبحث عن عمل.. أي عمل.. بائعة في محل ملابس أو محل أدوات كهربائية، وأثناء سيرها وبحثها مرت على المحل الذي يعمل فيه «حسام» فوجدته يتحدث مع أحد الزبائن، فوقفت في مكان غير بعيد تنتظر حتى ينتهي من عمله، لكنه ما إن رأها حتى استأذن من الزبائن وذهب إليها.

- إيه اللي منزلك دلوقتي يا «هانم».. في حاجة؟.

- أبدًا.. زهقت من القعدة في البيت فقلت أنزل أتمشي شوية وبالمرة أدور على شغل.

- شغل إيه يا «هانم» اللي إنتي نازلة تدوري عليه؟.. اتفضلي روحي وأنا لما أجي عندكم بكره نتكلم في الحكاية دي.

وانتظرت «هانم» قدوم يوم غد بفارغ الصبر، فقد أتعبت من الجلوس في المنزل ومن إحساسها بأنها أصبحت خادمة لسمير ولا مهمة له سوى غسل ملابسه وتجهيز الطعام له وتنظيف الشقة.. كما أنها بدأت تشعر بضيق ذات اليد بعد أن أوقف «سمير» المصروف عنها عقب وفاة والدتها وجلوسها في المنزل.

وتذكرت «هانم» رد «سمير» عليها عندما طلبت منه بعض النقود لشراء بعض المستلزمات الخاصة بها.

- منين.. بابا مات وماما كمان ماتت، وكمان حاجات إيه اللي أنتي عايزة تشتريها وأنتي قاعدة في البيت.. كفاية عليكي قاعدة تاكلي وتشربي وتنامي لحد ما ربنا يفرجها.

انتظرت «هانم» حتى حضر «حسام» وأخبرها أنه أخذ موعدًا من خاله ليقابلاه بداية الأسبوع المقبل في مكتبه، وحينها شعرت «هانم» بالحزن وهو ما دفع «حسام» للحيرة وسؤال نفسه: كيف تحزن وهى مقبلة على مرحلة جديدة في حياتها وعمل تبحث عنه؟.

– أصل أنا و«سمير» زعلانين من بعض شوية.. كلامه بقى جارح خاصة في موضوع الفلوس دي.. تخيل إنه بيعايرني بأنه بيصرف عليّ أكل وشرب.

لم يتردد «حسام» لحظة وأخرج من جيبه ظرفاً أبيض أخرج منه مبلغًا من المال ودون أن ينظر إليه أعطاه لها.

– من غير ما تقولي أنا كنت هاديكي الظرف بكل اللي فيه.. ده عربون أول مسرحية هاشترك في التمثيل فيها.. إمبارح قعدت مع الأستاذ الضيف والأستاذ جورج ووقعت معهما العقد.. وتخيلي أنا كمان اللي كتبت لهم العقد.

– بس كده كتير عليك يا «حسام».. أنت كمان مُلزم بأكلي وشربي وأنا في بيت أهلي.

– عيب عليكي يا «هانم» تقولي كده.. أنتي مش عارفة أنا بحبك قد إيه.

– وأنا والله يا «حسام» وأنت الوحيد اللي بحس أنه بديل بابا وماما والدنيا كلها.

– سيبك من الكلام ده.. أنا عايزك بكره تنزلي تشتري طقم شيك علشان المقابلة بتاعة الشغل.. ولو معندكيش مانع أنزل معاكي.

وصلا الحبيبان إلى مكتب عبدالسلام بك في وزارة التعليم، وهناك رحب بهما ترحيبًا مبالغًا فيه وبعد الاطلاع على شهادة التوجيهية الخاصة بـ «هانم» طلب منها أن تكتب طلبًا للعمل كمدرسة ووقع عليه بالموافقة وطلب منها التوجه لشئون العاملين لرؤية المدرسة التى يوجد بها مكان لاستلام العمل بها.

خرجت «هانم» من المكتب وهى تشعر وكأنها تطير في السماء تريد أن تقفز وتحلق بين النجوم، فأخيرًا ستتخلص من تحكم «سمير» فيها، ومعايرته لها بالأكل والشرب، أخيرًا ستكون حرة ومستقلة، تشتري ما تريد وقتما تريد.. لكن يبدو أن القدر لم يكن ليكتب لها أن تطول فرحتها إذ صُدمت عندما أخبرها مدير شئون العاملين بأن المدرسة التى ستستلم فيها العمل ستكون في شبين الكوم بالمنوفية.

ووقع الخبر على رأس «هانم» كالصاعقة.. فهى التى عاشت حياتها في القاهرة والمرة الوحيدة التى خرجت فيها كانت لبلدتها في المنيا وزيارة لم تتعد الأسبوعين، فكيف لها أن تقيم إقامة كاملة في المنوفية؟.. ورغم محاولات «حسام» الذي نزل الخبر عليه هو الآخر كالصاعقة، أن يخفف من حدة الأمر بأن ذهب لخاله يرجوه أن يبحث لها عن مكان في القاهرة.. لكن بلا جدوي.

- الأمر ليكي دلوقتي يا «هانم».. شوفي أنتي عايزة إيه؟.

لم تدم حيرة «هانم» كثيرًا.. فبعد لحظات من الصمت والتفكير اتخذت القرار.

– منوفية.. منوفية.. علي الأقل أبعّد عن وش «سمير».

– خلاص جهزي نفسك للسفر علشان هاجي أوصلك وأشوفلك سكن هناك.

عادت «هانم» إلى منزلها وجلست تنتظر «سمير» الذي كان قد اعتاد هذه الأيام على أن يخرج من ساعات الصباح الأولى ولا يأتي إلا متأخرًا.. انتظرت «هانم» كثيرًا حتى نامت على الكرسي الموجود في الصالة..وحضر «سمير».

– أنا نفسي أعرف أنت بتروح فين كل يوم من الصبح لحد دلوقتي؟.

رغم إني مُش مُلزم أعرفك بس هاقولك.. أنا بتدرب اليومين دول علشان ناوي أقدم في الجيش أول الشهر.. عرفت أنهم عايزين طلبة في مدرسة الطيران.. يدرسوا وياخدوا مرتب.. فقلت أقدم علي الأقل ألاقي فلوس أصرف علي نفسي وعليكي.

– كويس إنك أنت اللي فتحت السيرة.. بمناسبة المصاريف والأكل والشرب ما تعملش حسابي بعد كده لأني قدمت النهارده علي شغل في مدرسة والحمد لله قبلت.. وكمان مرتبها حلو 11 جنيه في الشهر.

– طب عظيم.. جهزي نفسك بيهم.. أنا مش عايز منك حاجة.

- هو بس فيه مشكلة.. المدرسة في المنوفية.

- منو..... إيه.. لأ طبعًا ما ينفعش.. شوفي أي شغلانة قريبة من هنا.

- بالراحة يا «سمير».. أنت ربنا يوفقك وتقبل في المدرسة اللي أنت مقدم فيها وهاتروح تقعد هناك وأنا هأفضل قاعدة هنا لوحدي لحد آخر الأسبوع على ما ترجع.. فقعدة بقعدة أقعد هناك وكده أو كده هانزل الجمعة ونتقابل.

- خلاص شوفي هاتسافري أمتي علشان أجي أوصلك.

وقررت «هانم» أن تسافر يوم السبت.. وذهبت إلى محطة القطار برفقة «سمير» الذي حمل لها الشنطة حتى المحطة وهناك تقابلا مع «حسام» الذي سيصحبها حتى شبين الكوم ويوصلها إلى المدرسة ويبحث لها عن سكن.

تحرك القطار و«حسام» و«هانم بداخله، وحرصت «هانم» على أن تجلس بجوار الشباك.. وتذكرت أول زيارة لها إلى قريتها في المنيا وكيف منعها سمير من الجلوس بجوار الشباك، وخلال الرحلة التى استغرقت قرابة الثلاث ساعات لم ينقطع كلام «هانم» مع «حسام»، حكت له عن سعادتها لأنها ستبدأ مرحلة جديدة في حياتها، وفرحتها لأنها ستعتمد لأول مرة على نفسها، لكنها أبدت في نفس الوقت رعبها من الفشل.

- طول ما أنتي خايفة تفشلي اعرفي إنك ماشية صح وإنك هاتوصلي.. المهم تكوني عارفة هدفك كويس وتصممي إنك توصلي له بأي شكل.. ويلا عايزك تشدي حيلك علشان نتجوز بقى.

- أنت خلاص قررت تركز في التمثيل وتسيب التجارة والمحاماة نهائي.

- مش عارف يا «هانم».. بس أنا حابب أخوض التجربة دي.

ورغم امتعاض «هانم» من قرار «حسام».. إلا أنها لم تبد أي ملامح على وجهها واكتفت كعادتها بتلك الابتسامة الصفراء التى ترسمها على وجهها عندما يفتح الحديث في هذا الأمر.

ووصل القطار إلى محطة «شبين الكوم».. ونزل «حسام» حاملاً حقيبة «هانم» في يده اليمنى، فيما تعلقت هى في يده اليسرى، وسألا على المدرسة الابتدائية، وكانت الساعة وقتها تقترب من الواحدة ظهرًا، فدلهما عليها أحد المواطنين، فانطلقا إلى هناك ولما وصلا تقابلا مع ناظر المدرسة الذي رحَّب بهما كثيرًا على غير العادة.

- يا أهلاً بمصر وروايح مصر.. وأنا بقول برضه البلد النهارده مالها منورة كده ليه.

- يا أهلاً بك يا سيادة الناظر.. أنا «حسام» ابن أخت عبدالسلام بك مدير عام المخطوطات في الوزارة.. ودي «هانم» خطيبتي.. وده خطاب استلام العمل بتاعها.

- اعتبرها استلمت يا «حسام» بك.. وكمان ما تقلقش عليها دي هانحطها في عينينا من جوه علشان خاطرك وخاطر عبدالسلام بك.

- فيه حاجة كمان لو مافيهاش إحراج.. أنت عارف أننا من مصر وملناش حد هنا.. فلو تكرمت بس تدلنا على سمسار يشوف لنا غرفة أو شقة لـ«هانم» تسكن فيها.

- سمسار وأنا موجود.. ده حتى يبقى عيب.. أنتم تتفضلوا معايا في البيت وعلى ما ناكل لقمة مع بعضنا أكون بعت لصاحب البيت ونكلمه على الغرفة اللي فوق السطوح.

وتحرك «حسام» و«هانم» مع ناظر المدرسة الأستاذ جابر إلى حيث مقر سكنه، الذي لم يكن يبتعد كثيرًا عن المدرسة، وبعد الغداء حضر صاحب البيت ووافق بصعوبة أن تسكن «هانم» في الغرفة، فقد كان يرفض أن تسكن فتاة «عازبة» لوحدها في الغرفة، ولكن بمجرد قيام الأستاذ جابر بإخباره أنها قريبته وترفض أن تسكن معه حتى لا تمثل حملا عليه، وافق صاحب المنزل وكتب لها عقد إيجار للغرفة ودفع «حسام» الإيجار المتفق عليه لمدة شهرين.

وبعد انصراف صاحب البيت.. صعد «حسام» و«هانم» والأستاذ جابر إلى الغرفة، وقامت بوضع شنطة ملابسها على السرير، وقرر «حسام» أن ينصرف ليلحق بالقطار العائد إلى القاهرة، وطلب من «هانم» قبل أن ينصرف أن تحافظ على نفسها،

وأعطاها عشرة جنيهات لتصرف منها حتى تتلقى أول راتب في نهاية الشهر، واتفق معها على المقابلة في القاهرة يوم الجمعة القادم.

مر الشهر الأول على «هانم» في المنوفية وهي سعيدة بأول مرتب تحصل عليه، ومبسوطة من بُعدها عن القاهرة وعن «سمير»، الذي لم يوفق في اختبار مدرسة الطيران، وفرحة بقربها من الأطفال الموجودين في المدرسة، وحاولت «هانم» خلال شهرها الأول أن تثني الأطفال عن بعض العادات التى كانت لا تعجبها، خاصة البنات اللاتي لم يكن يتجاوزن العاشرة من عمرهن وكن يحرصن على ارتداء «غطاء الرأس» أو ما يسمونه «حجابًا».

– أنا مش عارفة إيه اللي يخلي البنات من سنة أولى لحتى سنة سادسة مصممين على ارتداء هذا الحجاب رغم أن منظره سيئ.

ونوت «هانم» أنه عندما ستصبح ناظرة للمدرسة في يوم من الأيام سترفض ارتداء البنات لهذا الغطاء، ستعاقب من ترتديه سواء من الطالبات أو حتى من المدرسات.

مر الشهر الأول على «هانم» في المنوفية وقررت أن تستريح من مشقة السفر أسبوعيًا من المنوفية إلى القاهرة، لتجلس في الشقة مع «سمير» أو «حسام» بضع ساعات لتعود مرة أخرى إلى المنوفية، وظلت «هانم» في المنوفية لأسبوعين ترفض العودة إلى القاهرة إلا بعد مرور شهر.

في هذه الأثناء كان «حسام» مشغولاً تمامًا بعمله الجديد مع فريق رباعي أضواء المسرح وزاد انشغاله أكثر بعدما وقع علي أول عقد للعمل في السينما في أحد الأدوار الصغيرة، ورغم كل هذا كان يحرص على أن يذهب ليقابلها عندما تأتي للقاهرة مساء كل جمعة.

ولأول مرة يشعر «سمير» بالقلق على شقيقته التى لم تحضر كعادتها منذ أسبوعين، وقرر أن يسافر لها، ولا يعلم «سمير» حتى الآن السبب الذي دفعه للسفر.. إلا أن هذه السفرية حملت له ولشقيقته الكثير من المفاجآت التى لم يكن تخطر لهما على بال.

ركب «سمير» القطار المتجه إلى «شبين الكوم» وبحث عن مقعد فارغ في العربة فلم يجد، فذهب إلى عربة أخرى حتى وجد مقعدًا خاليًا بجوار شاب يرتدي ملابس غريبة أشبه بملابس رجال الشرطة لكنها ليست ملابس شرطة.. ذهب «سمير» إليه واستأذن أن يجلس بجواره، فوافق، فشكره وتجاذب معه أطراف الحديث.

- أنا «سمير» صالح من القاهرة.

- وأنا «حسين تبارك» طيار من المنوفية.. وأنت رايح المنوفية تعمل إيه؟.

فحكى «سمير» عن شقيقته التى لم تحضر للقاهرة منذ أسبوعين وعن قلقه عليها، وخلال حديثهما الذي طال تحدث «سمير» إلى «تبارك» عن فشله في اختبارات مدرسة الطيران واسترسل في الحديث وحكى له عن حلمه في أن يصبح طيارًا وعن حلم شقيقته التى كانت تنام وتستيقظ لتحلم بالطيران، حتى إنه في فترة من الفترات كان حلم حياتها أن تصبح «مضيفة» لتركب الطائرة، ووجد «تبارك» نفسه يعرض على «سمير» أن يصطحبه إلى المدرسة الابتدائية ليطمئن على شقيقته وأن يساعده في الاختبارات القادمة بمدرسة الطيران لأنه على علاقة وثيقة بمن يجرون الاختبارات.

ووصل القطار إلى المحطة واصطحب «تبارك» «سمير» إلى المدرسة حيث تعمل «هانم».. وذهب أحد السعاة إليها ليخبرها بقدوم شقيقها ومعه شاب آخر، وتوقعت «هانم» أن يكون «سمير» قد حضر برفقه «حسام»، خاصة أنه الوحيد الذي يعرف مكان المدرسة وعنوان إقامتها.. لكنها فوجئت بشاب يبدو من ملامحه أنه «فلاح» وزادت تأكدًا من ذلك بعد أن تحدثت إليه عقب قيام شقيقها بتعريفه لها. لم تُبال «هانم» بوجود «تبارك» في بداية الأمر.. وكان كل ما يشغلها هو سر زيارة «سمير».. هل جاء ليسأل عليها أم جاء ليقترض منها؟!..

خاصة بعد أن أصبحت موظفة ولديها مرتب ثابت.. لكن ما إن عرفت أن «تبارك» يعمل طيارًا بشركة مصر، حتى انتبهت وغيَّرت من نظرتها له.. بل إنها دعته إلى تناول الغداء معهما في «نادي شبين».. وانتظرت«تبارك» و«حسام» «هانم» على باب المدرسة حتى دخلت واستأذنت من الناظر أن تنصرف لأن شقيقها قد حضر من القاهرة.. وتوجه الثلاثة إلى النادي، وهناك حاولت «هانم» أن تتودد إلى «تبارك» الذي رأت فيه إيقاظًا لحلمها القديم الذي حلمت به طيلة عمرها أن تصبح «طيارة» أو «مضيفة».. وزادت من توددها بعد أن علمت أنه سيساعد «سمير» على الالتحاق بمدرسة الطيران.

– أظن دي تبقى فرصة العمر.. طاقة القدر اتفتحت لك لو طلع «تبارك» ده من نصيبك.

– بس ده فلاح وابن ناس غلابة.. وكمان ما يعرفش حاجة في الإتيكيت ولا في الذوق.

– كمان أنتي نسيتي حسام خطيبك اللي بيحبك وبيضحي علشانك.
– أهو حسام ده صحيح هو المشكلة.. إنما «تبارك» وقلة ذوقه وعدم خبرته في الإتيكيت.. فده سهل ممكن نعلمه.

وظلت «هانم» طوال الليل وبعد سفر «سمير» للقاهرة مرة أخرى وعودتها إلى غرفتها، ظلت تعقد المقارنات بين «حسام» و«تبارك» الأول خطيبها في يدها دبلته، شاب ابن ناس يحبها ويخاف عليها وكثيرًا ما وقف بجانبها حتى إن الغرفة التى تسكن بها هو من دفع إيجارها حتى هذه اللحظة، والثانى شاب «فلاح» وليس لديه أي ميزة سوى أنه «طيار».. وعندما تعبت «هانم» من التفكير نامت وتركت الأمور تسير في مجراها الطبيعي.

لم تحاول «هانم» خلال الفترة التى تلت جلوسها لتقارن بين «حسام» و«تبارك» أن تفكر في «حسام»، حتى إنها عندما وصلت القاهرة لم تحاول أن تتصل به أو حتى تسأل عنه، بل الأكثر من ذلك أنا طلبت من «سمير» أن يخبر حسام عندما يسأل عليها أنها سافرت المنيا لأمر مهم.

كان قرار «هانم» الابتعاد عن «حسام» بسبب رغبتها في إعطاء نفسها فرصة أخرى للتفكير.. خاصة بعد تنفيذ «تبارك» لوعده لـ«سمير» بأن «يوصي» عليه زملائه في مدرسة الطيران، حيث قبل «سمير» هناك وهو ما جعل «هانم» تُعيد حساباتها مرة وأخرى.

- «حسام» مهما كان آخره هيبقى إيه؟.. ممثل.. إنما «تبارك» مستقبله كبير.

- أنتي عمالة ترسمي وتخططي كأن «تبارك» قام يطلب إيدك ويخطبك.

- تبارك ده فلاح ساذج يعني الواحدة تعرف تضحك عليه بسهولة وتخليه يعمل اللي هيّ عايزاه.

- يعني إيه؟.

- يعني كل شيء قسمة ونصيب.

وهكذا اتخذت «هانم» قرارها بأن تنفصل عن «حسام» وأن تركز في «تبارك» ولكن هناك عقبتان أمامها.. الأولى هى كيف تخرج من مأزق خطوبة «حسام» وكيف تواجهه وهى تشعر بأنه صاحب أفضال عليها وأنه وقف بجوارها أكثر مما وقف شقيقها بجوارها.. والعقبة الثانية هى كيف توقع «تبارك» في شباكها؟.

وذات ليلة صارحت «هانم» شقيقها بأنها لم تعد ترى في «حسام» زوجًا لها.. خاصة بعدما خرجت إلى سوق العمل وتغيرت نظرتها للحياة.. ولم تفاجأ برد فعل «سمير» الذي قال لها: إنه أيضًا لا يرى فيه زوجًا مناسبًا.. ولكن ما فاجأها هو قول «سمير» أن «تبارك» يرغب في الزواج منها.. وطلب يدك مني لكني أرجأت الموافقة لحين التحدث إليك ومعرفة رأيك.

وجاء الخبر الذي حمله «سمير» بمثابة المفاجأة التى لم تكن تتوقعها.. إذ كيف بشاب لم تره إلا مرة واحدة بطلب يدها؟.. ووجدتها فرصة لأن تطلب من شقيقها أن يخبر «حسام» بفسخ الخطوبة وإرجاع دبلته وأن يطلب من «تبارك» الانتظار حتى تفكر وتتخذ القرار.

9

عادت «هانم» إلى المنوفية مرة أخرى، بعد أن طلبت من شقيقها أن يخبر «حسام» بانتهاء الخطوبة.. لكنها لم تكن تتوقع أبدًا أن تجد «حسام» هناك.. في المنوفية وفي شقة ناظر المدرسة، لم تعرف ماذا تقول له ولا بماذا تبرر له فعلتها.. وبرقة متناهية طلب «حسام» منها أن يخرجا ليتحدثا سويًا ووجدتها «هانم» فرصة لأن تلقي على «حسام» نظرة الوداع.

اصطحبت «هانم» «حسام» إلى نادي شبين، خاصة أنها ضيفة دائمة فيه، وجلسا على كرسيين متقابلين في الحديقة الواقعة بوسط النادي، وقررت «هانم» أن تستعمل مبدأ «الهجوم خير وسيلة للدفاع» فبادرت «حسام» قبل أن ينطق بكلمة واحدة.

- أنا عايزة أوفر عليك كلام كتير هاتقوله وأنا هاقوله.. اعترف لك أني عمري ما حبيت ولا هاحب راجل غيرك.. أنت الراجل الوحيد اللي حسيت معاه بالأمان.. أنت الوحيد اللي حسيت إنه أبويا وأمي وأهلي كلهم.

- وعلشان كده فسختي الخطوبة؟.

- بصراحة يا «حسام» الفرصة ما بتجيش للبني آدم غير مرة واحدة في حياته، وأنا فرصتي وحلم حياتي بيترسم قدامي، طيار.. وبصراحة معنديش استعداد أضيع الفرصة دي.

- أنتي هاتفضلي طول عمرك كده عطشانة وكل ما تشربي هتزيدي عطش.. هاتفضلي أنانية وعينك على اللي في إيد غيرك.. وأراهنك إنك بكره تقلبي على الطيار بتاعك وتسيبيه هو كمان عمومًا.

ربنا يوفقك.. قالها «حسام» قبل أن ينصرف تاركاً «هانم» خلفه.. ورغم محاولات «هانم» أن تمنع نفسها من البكاء، إلا أن دموعها رفضت أن تشترك في المؤامرة على «حسام» وشاركته حزنه على ضياع أول حب في حياته.. وبسرعة مسحت «هانم» هذه الدموع طالبة من عينيها ألا تفعلها مرة أخرى مهما كانت الأسباب.

عادت «هانم» إلى الشقة مرة أخرى وهى مصممة على استكمال حلمها في الارتباط بطيار يأخذها بعيدًا عن العالم.. عن الناس.. يجعلها تلامس النجوم بأصابعها.. تزور معه العالم مرة واثنين وثلاثة.. عادت وهى تنوي إخبار شقيقها بموافقتها على طلب «تبارك» الزواج منها، لكنها لم تكن تدري أن «تبارك» نفسه سيأتي لها في النادي في اليوم الثاني وقت الغداء.

جلست «هانم» مع «تبارك» وتبادلا الحديث عن عمله وطبيعته وعن أهله وأقاربه، وحكى لها عن أن والده يعمل «حاجبًا» في المحكمة وأن أهله «غلابة» وأن الصدفة وحدها هى التى قادته ليعمل طيارًا.. وانتقل الحديث بعد ذلك عن «هانم» وسر رغبته في الارتباط بها.

- مش عارف.. بس أنا حسيت إني استريحت لك.. إنك الست اللي تنفع تبقى مراتي.. ست حلوة ومتعلمة وبنت ناس ومش أقل من زوجات زملائي في المطار.

وطلبت «هانم» الغداء من عامل النادي وعرضت على «تبارك» أن يتناول معها الغداء.. إلا أنه رفض واكتفي بكوب من الشاي، وفي هذه الأثناء أخبرت «هانم» «تبارك» أنها كانت مخطوبة لأحد الشباب الذي يعمل ممثلاً وأنها فسخت خطوبتها منه بعد أن صمم على ترك عمله في المحاماة ليتفرغ للتمثيل.

عقب انتهاء «هانم» من تناول طعامها انتظرت أن ينادي «تبارك» على عامل النادي ليعطي له أجر الطعام لكنه لم يفعل.. فقامت هى بالنداء عليه وأعطت له أجر الأكل والشاي الذي تناوله «تبارك» الذي كان يجلس أمامها ساكناً في خنوع.

- يا نهار أسود ده حتى ما عزمش عزومة «مراكبية» أنه يدفع الحساب.. يكونش دخل على طمع.

– طمع إيه يا «هانم»؟.. هو أنتي حيلتك حاجة يطمع فيها.. ما تقلقيش هى كل الحكاية إنه منوفي بخيل شوية.

وخرجت «هانم» من لقائها الأول مع «تبارك» ببعض الانطباعات عنه ولاحظت أنه بخيل يحاول الحفاظ علي ما معه من أموال.. وأن شخصيته مهزوزة، كما أنه لا يحب أهله ولا يشعر ناحيتهم بأي نوع من الفخر أو التقدير، وقد اتضح هذا من طريقة كلامه عليهم، وهى الانطباعات التى زادتها إصرارًا على استكمال التجربة معه.

تكررت لقاءات «هانم» و«تبارك» في «نادي شبين»، وفي كل لقاء كانت تكتشف فيه خصلة جديدة، مرة أنه يريد أن يتزوجها حتى «يتمنظر» بها أمام أهله وزملائه، ومرة أنه يحاول أن يكون «كوميدياناً» وهذه الخصلة تحديدًا توقفت أمامها كثيرًا، خاصة بعدما أخبرها أن حلم حياته أن يكون «ممثلاً» بل أنه أخبرها أنه بالفعل قام بالتمثيل في أحد الأفلام مع الفنان «جمال الشناوي» الذي كان نجم السينما وقتها.

معلومات كثيرة، وصفات متعددة لـ «تبارك» كانت لو وضعت في كفة مع «يوسف» وليس «حسام» لمالت كفة الميزان ناحية يوسف، ورغم ذلك كانت «هانم» مصممة على استكمال التجربة والزواج من «تبارك».

– طب والشقة هتبقى فين؟.

– أنا نفسي نسكن في القاهرة، بس زي ما أنتي عارفة إمكانياتي لا تساعدني على شراء شقة هناك.. فأنا شايف إننا نسكن هنا في «شبين» مؤقتاً لحد ما ربنا يفرجها.

– «شبين» لأ.. إحنا ممكن نتجوز في الشقة بتاعة بابا.. كلم «سمير» هو بيحبك ومش هايرفض لك طلب.. وأنا هاقدم على طلب نقل من المدرسة علشان أكون في مدرسة جنب البيت.

على الفور قامت «هانم» بتقديم طلب نقل من المدرسة لتكون بجوار منزلها وأرفقت في الطلب الذي سلمته لمدير المدرسة، أسباب النقل وهى الزواج، لكن الرد جاءها بالرفض، بحجة أن المدرسة لديها عجز في المدرسين ولا يمكن الاستغناء عنها، وفي هذا الوقت كان «تبارك» قد تحدث إلى «سمير» الذي قُبل في مدرسة الطيران بعد توصية «تبارك».. وقد أبدى «سمير» موافقته على أن تتزوج شقيقته في الشقة، لكن بشرط أن يخصصا له غرفة حتى يقوم هو بعد ذلك بالبحث عن شقة لنفسه.

اتفق «سمير» مع «تبارك» أن يكون زفاف شقيقته بعد ثلاثة أشهر.. أي في إجازة آخر العام الدراسي، واتصل بالحاج إسماعيل يخبره بفسخ خطوبة «هانم» من «حسام»

ويعلمه بأنه اتفق مع «حسين تبارك» الذي يعمل طيارًا أن يتزوج شقيقته خلال إجازة نهاية العام الدراسي، وهو الأمر الذي أغضب الحاج إسماعيل، خاصة بعدما رأى أن «عيال» الدكتور صالح «كبروا» ولم يعملوا حسابًا لوجوده فقرر أن يقاطعهما وألا يحضر الفرح لأنه يرفض أن يكون «ديكورًا».

استعملت «هانم» عملها في مدرسة «شبين»، وبدأ نشاطها المُعادي لـ«الحجاب» وللفتيات اللاتي يرتدينه «يكبر» لدرجة أنها طلبت من البنات خلال حصتها أن يقمن بخلع غطاء الرأس.. وأخذت تشرح لهن أنه غير صحي حيث يصيب الشعر بالتساقط لأن الحجاب يمنع عنه الشمس والهواء.

وكانت هذه الفعلة هى السبب في وقف «هانم» عن العمل وإحالتها للتحقيق، فبينما قامت معظم فتيات الفصل بخلع الحجاب خلال حصة أبلة «هانم» فإن إحدي الفتيات رفضت ذلك واستمر رفضها حصة واتنين وتلاتة، مما دفع بعض الفتيات اللاتي كن يخلعن الحجاب إلي الكف عن ذلك، فقررت «هانم» أن تعاقب هذه الفتاة حتى تكون عبرة لزميلاتها، فقامت بضربها وخلعت حجابها بالإكراه.

في اليوم التالي حضر ولي أمر الطالبة وقام بتقديم شكويى في المُدرِّسة التى تُجبر الطالبات على خلع الحجاب وتأمرهن بأن يصاحبن الأولاد، ليقرر المدير وقف «هانم» عن العمل وتحويلها للتحقيق.

عادت «هانم» إلى القاهرة وهى حزينة جراء ما حدث لها في المنوفية.. وعلى أيدي بعض «الجهلاء» و«الفلاحين» الذين لا يفهمون في الإتيكيت والجمال والأناقة.. وجلست «هانم» في الشقة يومين قبل أن تقرر أن تنزل إلى الشارع لشراء بعض الأشياء التى تريد شراءها للزواج، ووجدت قدميها تأخذها إلى ميدان «روكسي» إلى محل التليفزيونات علها تلتقي «حسام» وتشاهده من بعيد.. لكنها لم تجده هناك. شهر كامل قضته «هانم» في القاهرة موقوفة عن العمل.. أحياناً تذهب إلى «شبين الكوم» لحضور تحقيق، ثم تعود إلى القاهرة في نفس اليوم.. وخلال الشهر التقت «هانم» «تبارك» أكثر من مرة وكانت لقاءات كلها فاترة، فكلامه كله مُعاد ومُكرر، ليس لديه ما يحكيه سوى تفوقه على زملائه في العمل وحرصه على عدم التبذير وجمع كل «مليم» يتحصل عليه ليبني به عش الزوجية.

وتذكرت «هانم» أنها طلبت من «تبارك» ذات مرة ألا يلقي على مسامعها أي «نكات» أو قفشات من تلك التى يظن أنها مضحكة، خاصة بعدما ضاقت ذرعًا من طريقته في الكلام وفي الأكل.. وقررت «هانم» أن تبدأ رحلة كفاحها في تعليم «تبارك» أن يكون «ابن ذوات» وأن تعلمه كيف يأكل بالشوكة والسكين وكيف يتكلم وكيف يختار الموضوعات التي يتكلم فيها؟.

وجاءت الإجازة وتم زواج «هانم» في حفل صغير لم يحضره سوى شقيقها «سمير» وسافر الزوجان لقضاء أسبوع في الإسكندرية.

انتهت التحقيقات مع «هانم» وقررت الشئون القانونية أن تجازي «هانم» بشهر عمل وأن يتم نقلها إلى مدرسة «بلبيس» بمحافظة الشرقية كنوع من العقاب لها.

أخبرت «هانم» «تبارك» أنها ستتقدم باستقالتها من التعليم.. إذ كيف تسافر إلى بلبيس لتعمل هناك، لكنه طلب منها عدم فعل ذلك، خاصة أنه قد جاءه عرض من شركة «مصر» التى يعمل بها أن يسافر إلى «بلبيس» لتولي رئاسة فرع الشركة الذي تم افتتاحه هناك، لكنه كان يرفض لعدم رغبته في الانتقال إلى الأعمال الإدارية رغم أن المرتب سيتم مضاعفته.

سافرت «هانم» إلى «بلبيس» وقامت بتسليم خطاب العمل إلى ناظرة المدرسة.. التى سألتها عن سر نقلها من «شبين الكوم» إلى الشرقية؟.. فأخبرتها «هانم» أن السبب هو انتقال زوجها إلى العمل في بلبيس ورغبتها في أن تكون بجواره، انصرفت «هانم» بسرعة من المدرسة التى لم يكن بها دراسة بسبب استمرار إجازة نهاية العام، وفي طريق عودتها شعرت «هانم» برغبتها في القيء وأحست بدوار وقعت علي أثره في قلب القطار.

تجمع الركاب حول «هانم» في محاولة لإفاقتها، وبمجرد أن أفاقت ونظرت إلى وجوه السيدات اللاتي يحطن بها ويسألنها عما تشعر به حتى تذكرت «يوسف» و«ترام مصر الجديدة» و«الفسحة المنحوسة» التى انتهت بإغمائها في أرضية الترام وتجمع النسوة حولها.

عادت «هانم» إلى القاهرة وذهبت في صبيحة اليوم التالي لأحد المستشفيات ليخبرها الطبيب بأنها حامل، ويطلب منها الحفاظ على نفسها بصورة أكبر، في هذه الأثناء كان «تبارك» في إحدى رحلاته الجوية ولم يكن قد اتخذ قرارًا نهائيًا بشأن قبول منصب مدير فرع الشركة في بلبيس والتحول للأعمال الإدارية، لكنه بمجرد عودته وإخبار «هانم» له بأنها حامل قرر أن يوافق على الطلب، بل يبحث عن سكن في بلبيس ليقيم فيه مع زوجته والطفل القادم.

انتقل «تبارك» وزوجته «هانم» للعيش في بلبيس واستقرا على شقة مناسبة، عبارة عن غرفتين وصالة وحمام ومطبخ، ويطل أحد شبابيكها على الكلية الجوية الخاصة برجال الجيش.

بدأت الدراسة وانتظمت «هانم» في المدرسة، وكانت تواظب على الحضور قبل موعد طابور الصباح، ورغم آلام الحمل ومتاعبه، إلا أنها كانت نشيطة ومجتهدة تحاول بشتى الطرق أن تصل إلى الطلاب وأن تشرح لهم المواد بطريقة سهلة وميسرة، لكنها ما لبثت أن عاد لها «الهاجس» القديم.. الحجاب.. وقررت أن تحاول إثناء الطالبات عنه لكن بطريقة مختلفة عن تلك التى استخدمتها في المنوفية.

خصصت «هانم» عشر دقائق من كل حصة لتشرح لطلابها، خاصة الفتيات أشياء عن الموضة والإتيكيت وعن الحب وجماله وعن المرأة السوية وعن الحجاب وأضراره، وحاولت قدر المستطاع أن تحبب الطالبات في خلع الحجاب، وبالفعل استجابت أعداد كبيرة منهن وقمن بخلعه عن طيب خاطر وباقتناع تام.

لاحظت ناظرة المدرسة تفشي ظاهرة خلع الحجاب بين فتيات المدرسة، إلى جانب شكوي بعض أولياء الأمور أن بناتهن بدأن يستمعن للراديو ولأغاني «محرم فؤاد» و«عبدالحليم حافظ» التى تُذاع ليل نهار في الإذاعة.. حاولت الناظرة معرفة ما يجري في المدرسة وسر هذه الظاهرة فجلست مع بعض الفتيات لمعرفة الحقيقة،

وقد هالها أمر «هانم» التى تدعو البنات إلى الفجور.. فقررت وقفها عن العمل وتقديم مذكرة إلى الوزارة بشأن وقفها عن العمل بل فصلها من المنظومة التعليمية بأكملها.

خرجت «هانم» من المدرسة بطريقة مهينة، حينما قامت ناظرة المدرسة بطردها من المدرسة في طابور الصباح أمام الطلاب والمدرسين والعمال، وأخبرتها بأنها موقوفة عن العمل، وحذرتها أنها لو اقتربت من المدرسة فستترك أولياء الأمور يفعلون بها ما يشاءون.

خرجت «هانم» من المدرسة وقررت ألا تعود إليها مرة أخرى وألا تتابع التحقيق وأن تجلس في بيتها لترعي ابنها أو ابنتها القادمة.

لم تستطع «هانم» منذ ذلك الحين أن تتحمل المعيشة في «بلبيس» فاستأذنت من زوجها أن تعود إلى القاهرة تعيش هناك، وأن يحضر هو يومي الخميس والجمعة ليقضيهما معها.

في هذه الأثناء كان «تبارك» يعمل في موقعه الجديد كمدير للشركة بكل جد وإخلاص وتفانٍ في العمل، ووصلت أخبار نشاطه وحيويته إلى رئيس الشركة الذي طالب بصرف علاوة تشجيعية له على نشاطه الملحوظ بل وعده بأن ينقله إلى القاهرة في منصب أكبر في أقرب فرصة.

ظل «تبارك» في بلبيس يعمل ويواصل الليل بالنهار في العمل من أجل مزيد من النجاح وإبهار مسئوليه.. وفي إحدي الليالي جاءه التليفون.

- مراتك بتولد.

وانطلق «تبارك» إلى القاهرة ولما وصل علم أن «سمير» شقيقها قام بنقلها إلى مستشفى هليوبوليس لكي تلد، فذهب إلى هناك ووقف أمام غرفة العمليات ينتظر خروج «هانم» والطفل.. وطالت المدة، وبدأ «سمير» يتوتر ويدخن السجائر بشراهة، بينما كان «تبارك» يجلس على أحد الكراسي في ثبات رهيب، جعلت «سمير» يبدي غيظه ظناً منه أنه غير مهتم بشقيقته.. وبعد قليل جاء صوت الممرضة.

- مبروك «الهانم» جابت ولد.

وانطلق «سمير» إلى شقيقته ليطمئن عليها، ولا يعلم حتى الآن سر لهفته عليها، وفي نفس الوقت انطلق «تبارك» إلى الحضانة ليطمئن على الطفل، وعاد إلى الغرفة حاملاً الطفل في يده.. وسأل «هانم»:

– هاتسميه إيه؟

– علاء.

واستغرب «تبارك» من رد «هانم» السريع وتجهيزها للاسم، وسألها عن سر اختيار هذا الاسم تحديدًا.. فقالت له إنها اختارته تيمناً بالطيران الذي تعشقه، لأن الطيار دائماً ما يكون عاليًا.. ولم يقتنع «تبارك» بالاسم.. فقال لها إنه يود أن يسميه «جمال» علي اسم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر، فقالت له:

– خلاص.. ده نسميه علاء.. ولما ربنا يرزقنا بولد تاني نبقى نسميه جمال.

مكثت «هانم» في المستشفى يومين قبل أن تُغادر برفقة زوجها الذي حصل على إجازة من الشركة لمدة ثلاثة أيام، وتوجه الثلاثة إلى المنزل، ليجد «تبارك» نفسه في ورطة.. من سيخدم «هانم» و«علاء»؟.. وبعد طول تفكير استقر على أن يستعين بخادمة تؤدي هذه المهمة، خاصة أنه سيعود إلى بلبيس مرة أخرى.

وكان «علاء» هو وش الخير على والده، إذ بمجرد قدومه تم صرف مكافأة تشجيعية لوالده الذي اجتهد حتى يحافظ على نشاطه وتفوقه في عمله، وبعدها بشهرين تم حصول «تبارك» على مكافأة أخرى.. الأمر الذي دفع رئيس الشركة لأن يرشحه للحصول على دورة تدريبية في الاتحاد السوفيتي على إدارة الشركة.

وسافر «تبارك» إلى موسكو، ومكث هناك عامين كاملين، عامان عاشتهما «هانم» برفقة صغيرها الذي ملأ الدنيا عليها.. وحرص «تبارك» خلال فترة العامين على أن يرسل إلى زوجته ما تريده من مال لتنفق على نفسها وعلى الصغير، وأن تشتري له ما يريده من لعب وملابس جديدة.

وحاولت «هانم» خلال فترة سفر زوجها أن تقضي على الملل الذي بدأ يسري في حياتها، فعادت إلى قراءة القصص البوليسية مرة أخرى.. بل إنها حاولت أكثر من مرة أن تكتب قصصًا وروايات، لكن محاولاتها كانت تبوء بالفشل.. واستكملت «هانم» رحلة الخروج من الروتين اليومي.. فكانت تذهب إلى السينما بعد أن تترك «علاء» برفقة «الدادة» التى استأجرها له «تبارك» قبل أن يسافر، وكانت تذهب كذلك إلى المسرح، وتذكر أول مرة قامت بزيارة محل «تحف» و«آثار» وكم استمتعت برؤية الآثار الفرعونية التي نظرت إليها كأنها تراها لأول مرة، واشترت أول تمثال لتوت عنخ آمون في حياتها وكان من النحاس.

استمرت خروجات «هانم» للتنزه والخروج من جو الوحدة الذي تعيشه.. ولن تنسى ذلك اليوم الذي رأت فيه «حسام» يسير في منطقة وسط البلد، بالقرب من مسرح جورج أبيض، ورغم محاولاتها أن تمنع نفسها من الذهاب إليه والسلام عليه، إلا أنها لم تتمكن من ذلك، فذهبت له وقامت بالسلام عليه.

- الحمد لله يا «هانم».. أنتي أخبارك إيه؟.. وبتعملي إيه في حياتك اليومين دول؟.

- أنا اتجوزت.. وعندي «علاء».. وأنت؟.

- أنا وهبت حياتي للفن.. ويا ترى مبسوطة في حياتك؟.

لم تجب «هانم» عن السؤال وكأنها لم تسمعه.. وهمت بالانصراف لولا طلب «حسام» أن يوصلها في طريقه إن لم يكن لديها مانع، فوافقت «هانم» على العرض.. واستأذن «حسام» من أصدقائه.. ثم انطلق مع «هانم» في اتجاه سيارة «كاديلاك» سوداء تقف فى مكان غير بعيد.

- عربيتك دي؟.

- آه.. دي «الهانم».

وضحكت «هانم» على اسم السيارة، ولم تحاول طيلة الطريق أن تفتح مجالاً للحديث مع «حسام» وحاولت قدر المستطاع أن تسد الطريق عليه، فكانت الإجابة علي مقدار السؤال.. وهو ما لاحظه «حسام» وبشياكة متناهية لم يفتح «فمه» باقي الطريق.

واصلت «هانم» هوايتها الجديدة وهى مشاهدة الآثار والمتاحف واقتناء بعض القطع الأثرية المقلدة تقليدًا جيدًا، وكم تمنت أن تقتني القطع الأصلية لكن من أين تأتي بالأموال التي تشتري بها هذه القطع؟!.

وتذكرت «هانم» يوم أن ذهبت لمشاهدة القطع الأثرية بالمتحف المصري، ووقفت مبهورة أمام الحلي التي كانت ترتديها الملكات، وشردت بذهنها قليلاً في حلم لم يستغرق سوى دقائق قليلة وتمثل في تتويجها «ملكة» مصر وكل هذه الآثار والحلي ملك لها وكل أهل مصر بمن فيهم «حسام» الذي لم تستطع أن تهرب من جاذبيته ورومانسيته، و«يوسف» الذي هرب منها وتركها دون أي مراعاة لآدميتها ومشاعرها.

وبينما تقف «هانم» أمام إحدى القطع إذ جاء أحد الرجال ذو الشعر الطويل وغير المهذب للتعرف عليها.

– أنا «فاروق حسين».. مهندس ديكور.. اسمحيلي يا «هانم» أعبر لك عن ذوقك الرفيع في اختيار ألوان ملابسك.

أطرت كلمات «فاروق» الرقيقة قلب وأذن «هانم»، خاصة أن هذه الكلمات لم تسمعها منذ سنوات، وتحديدًا منذ كانت مخطوبة لـ«حسام» الذي شجعها على اختيار أرقي الموديلات وأحدثها بعكس زوجها «تبارك» الذي لا يعرفها إلا وقت النوم فقط، إنما باقي هناك تجاهل تاماً لمظهرها وأناقتها.

– إنما أنت مهندس ديكور؟.. إيه اللي جايبك هنا عند الآثار؟.

– أنا عشت في فرنسا لسنوات.. وهناك رأيت الموضة والألوان والنساء الشُقر والبيض والسُمر، ولكني اكتشفت أن أفضل الألوان تلك التي قدمها الفراعنة منذ سنوات بعيدة.

وعرض «فاروق» على «هانم» أن تقبل دعوته لتناول طعام الغداء معه في أحد المطاعم القريبة من المتحف.. فوافقت.

توطدت علاقة «فاروق» و«هانم» بسرعة، فكانا يتقابلان بصورة شبه يومية، فقد رأت فيه «هانم» تعويضًا عن غياب زوجها الذي تركها وحدها،

وتكررت الزيارات مرة إلى المتحف المصري، ومرة يستقلان مركبًا في النيل، ومرة في مرسمه الخاص، إلى أن جاء يوم ووضع فاروق يده على ظهر «هانم» بصورة غير مقصودة، لتشعر «هانم» بحالة من التوهان وقشعريرة تسري في جسدها كله.

شعرت «هانم» ولأول مرة منذ سفر زوجها إلى الاتحاد السوفيتي برغبة جنسية مُلحة، وقد قاومت كثيرًا، إلا أنها لم تحتمل أصابع «فاروق» وهى تتحسس ظهرها، فقامت بخلع «البلوزة» التي ترتديها.. واستغرب «فاروق» من فعلتها وانتظر حتى تنتهي مما تفعله.

- انتي بتعملي إيه يا «هانم»؟.

- هو أنت مالكش نفس ولا إيه؟.

- مش القصد.. بس أنا مابحبش الستات.. ماليش فيهم.

نزلت كلمات «فاروق» على «هانم» كالصاعقة، وانفجرت في الضحك، وعلى صوتها، لدرجة أزعجت «فاروق» وأشعرته بالحرج الشديد، فهل يُعقل أن تقنع نفسها أن تلبي رغبة جسدها لأول مرة وتفاجأ بأن من تعرض عليه ليس له في النساء.

- أكيد ربنا بيحبني ومش عايزني انحرف.

قالتها «هانم» وهى تضحك بطريقة هيستيرية، ثم تمالكت نفسها وتوقفت عن الضحك، خوفاً من أن يؤذي ضحكها مشاعر «فاروق»، ثم طلبت منه أن يحكى لها كيف وصل لمرحلة الإشباع الجنسي التي تجعله لا يحب النساء.

– الحكاية مالهاش علاقة بالإشباع ولا حاجة.. الحكاية إني واحد أؤمن بالحرية والاختلاف، وعلشان كده ما بحبش الستات ولا بحب العلاقات الجنسية معهن.

– أُمال لما تحب تشبع رغبتك بتعمل إيه؟.

– بسافر فرنسا.. ليّ صديق هناك الكيميا بتاعتنا متركبة مع بعض.

واستطرد «فاروق» يحكي لـ«هانم» عن الحرية التي يعيشها المواطنون في فرنسا، وكيف أن الرجال هناك يقيمون علاقات جنسية كاملة مع بعضهم البعض، كما أن الفتيات هناك من الممكن أن يمتعن بعضهن البعض.. وانتقل يحكي لها عن علاقات الشواذ وعن المتعة التي يشعرون بها، والتي لا يشعر بها الرجل مع المرأة.

– يعني أنتي مثلاً مبسوطة في علاقتك مع زوجك؟.

– مش عارفة يا «فاروق».. في الأول أنا اتجوزته علشان أرضي حلمي إني أكون مرات راجل مهم.. طيار أو وزير.. وكمان علشان يحكي لي عن الدنيا والبلاد اللي زارها، وأزور معاه بلاد كتيرة واتعرف على ناس أكتر.. لكن بعد الزواج كل ده لقيته وهم كبير.

– طب ما تعيشي حياتك وتمتعي نفسك.

– ما ينفعش أنا دلوقت بقيت «أم» وخطواتي الجاية محسوبة عليّ.. المهم أنا عايزاك تنسى كل اللي حصل النهارده.. إحنا أصحاب.. مش كده.

وبدأت «هانم» منذ ذلك اللقاء مرحلة مختلفة في حياتها، فلأول مرة يكون لها صديق هى بالنسبة له كتاب مفتوح، يمكن أن يقرأ ما بداخله بسهولة.. وهو أيضًا أصبح بالنسبة لها كتابًا مفتوحًا على مصرعيه.

مر العام الأول على سفر «تبارك» إلى الاتحاد السوفيتي ونزل في إجازة قصيرة لأسبوعين.. وحاولت «هانم» خلال هذه الإجازة الصغيرة أن تستمتع بزوجها، وأن يُلبي كل رغباتها المكبوتة منذ عام، لكنه كان مشغولاً جدًا بتسليم التقارير إلى رؤسائه، كما سافر إلى أهله في المنوفية للاطمئنان عليهم.. وتذكرت «هانم» أنها لم تقض مع «تبارك» سوى يومين أو ثلاثة.

سافر «تبارك» مرة أخرى.. وعادت «هانم» إلى عادتها الأولى، تقابل «فاروق» وتذهب معه إلى السينما وإلى المسرح والأهرامات.

في هذه الأثناء تعرف شقيقها «سمير» على ابنة أحد أساتذته في الكلية الجوية وقام بخطبتها، ووجدت «هانم» وسيلة جديدة للترفيه وتضييع الوقت.

عاد «تبارك» من رحلته بعد انقضاء العام الثاني على عمله في الاتحاد السوفيتي، ورفض أن يخرج من المنزل لمدة أسبوع، حملت فيه «هانم» طفلها الثاني، وبعد مرور تسعة أشهر، حضر المولود الثاني، الذي اختارا له اسم «جمال».

وبينما كانت «هانم» مشغولة بالحمل، ومن بعدها الولادة والرضاعة اختفى «فاروق» الذي كان يتصل بها تليفونيًا من آن لآخر ليطمئن عليها.. اختفى دون أن تعرف عنه شيئاً.

- احتمال يكون سافر باريس يغير جو ويمتع نفسه ويرجع.



10

انتظمت حياة «هانم» و«تبارك» بنسبة كبيرة بعد عودته من الاتحاد السوفيتي وتوليه مدير مكتب القاهرة، فكان يعود إلى البيت كل يوم بعد انتهاء مواعيد عمله العادية.. وتذكرت «هانم» أنها خرجت مع «تبارك» لأول مرة بعد الزواج إلى نادي «مصر الجديدة» بعد أن قام بعمل عضوية للأسرة بأكملها.

في هذه الأثناء كانت مصر تعيش حالة من التوتر بعد نكسة يونيو 1967، ورغم ما سببته النكسة من عواقب وخيمة علي مصر وأبنائها، إلا أنها كانت «وش الخير» على «تبارك» وأسرته، فقد استعانت به المخابرات الحربية ليقوم بالتدريس لطلبة الكلية الجوية وتعليمهم المهارات والخبرات التي تلقاها في الاتحاد السوفيتي، وقد أبلى في ذلك بلاءً حسناً، وظهر مجهوده بعد انتصار الجيش في حرب أكتوبر 1973.

وبعد انتهاء الحرب قرر الرئيس أنور السادات أن يقوم بتكريم «تبارك» وأوصى رجاله بأن يعتنوا به وبأسرته، ووصلت هذه التوصية إلى رئيس مجلس

إدارة الشركة التي يعمل بها «تبارك» ليقرر أن يعينه «نائب رئيس الشركة».

تغيرت حياة «هانم» وأسرتها منذ ذلك التاريخ، فزوجها تقابل مع الرئيس السادات ونشرت الصحف صوره وهو يتسلم التكريم من الرئيس، وأصبح نائب رئيس الشركة، فالمرتب زاد والقيمة الاجتماعية نفسها زادت.

وبدأت «هانم» تتعامل مع من حولها على أنها حرم نائب الرئيس لكنها اصطدمت بحرم الرئيس نفسها، التي كانت ذات جمال بالغ وأنوثة متفجرة، كما كان لها إحساس عالٍ بالذوق واختيار الملابس، وتتذكر «هانم» أنها فكرت ذات مرة أن تضع نفسها في مقارنة مع «نهال» حرم رئيس الشركة لتفاجأ بها تعنفها بصورة مهينة أمام الجميع.

- اوعي تكوني فاكرة يا حبيبتي إن أنتي أو جوزك حاجة.. أنتم برفانات في الشركة.. وحسك عينك تفكري تحطي راسك براسي مرة تانية، لأني ساعتها هانسفك من علي وش الدنيا أنتي وجوزك.

شعرت «هانم» منذ ذلك الموقف بنوع من الإهانة لم تتعرض له في حياتها، وفكرت في أن تنتقم لنفسها وأن ترد الصاع صاعين لـ «نهال» ولكن كيف.. فهي زوجة رئيس الشركة الذي يمتلك مفاتيح كل شيء وفي استطاعته ليس فقط «رفت» زوجها من الشركة لكن محو اسمه من الحياة.

– ما تزعليش نفسك يا «هانم».. الحكاية أبسط من كده بكتير.. أنتي بس اللي معقدة الدنيا.. عارفة عندنا في البلد الفلاحين بيقولوا إيه «اتمسكن لحد ما تتمكن» ويا ستي «إن كان ليكي عند الكلب حاجة قولي له يا سيدي».. لحد ما تاخدي اللي أنتي عايزاه.. وكمان لازم تصبري ولا مش عايزة تكوني مرات الرئيس.

واقتنعت «هانم» بكلام زوجها بل بدأت في تنفيذ خطته التي تعتمد على مهادنة زوجة الرئيس والتودد إليها والتقرب منها لمعرفة كواليس ما يجري في بيت الرئيس حتى إذا جاءتها الفرصة لتحل مكانها تعرف كيف يُدار البيت من داخله.

– وأهي فرصة ابقى أرد لها اللي عملته فيّ.

دأبت «هانم» على زيارة بيت رئيس الشركة كل يوم وبدأت تتعرف على كل العاملين ومديري الإدارات الذين كانوا يحرصون على أن ينالوا رضاها بأي شكل، وكانت تحرص على اصطحاب بعضهم عند قيامها بعمل أي مشروع خيري.

ولاحظت «هانم» وجود شاب وسيم في القصر قريب الشبه من «حسام» خطيبها السابق.. يتعامل مع «نهال» بنوع من الدلال والدلع.. فأحياناً يقبلها وأحياناً يحتضنها أمام الجميع ولا يحرك أحد ساكناً..

واستغربت «هانم» من تصرفات «نهال» إذ كيف تأتي بعشيقها لبيت الزوجية وتقابله وتحتضنه أمام الجميع، وسألت نفسها هل يعلم زوجها هذا أم لا؟.. وهل يُعقل ألا يكون أحد من الخدم أو الحراس قد أخبره بقدوم هذا الشاب؟!.. وقررت «هانم» أن تعرف الحقيقة.

لمحت «هانم» الشاب ذات مرة يجلس وحده أمام الدفاية الكبيرة الموضوعة في بهو القصر، فأسرعت إليه تسأله من يكون؟!.

- أنا «كمال» ابن صاحب البيت.

واستغربت «هانم» من المفاجأة.. إذ كيف يكون هذا الشاب الذي يتعدى عمره العشرين عامًا ابن «نهال» رغم أنها في نفس عمرها تقريبًا.. كما أن ملامحها لا توحي بأن تكون أم لرجل في منتصف العشرينيات.

حاولت «هانم» أن تتقرب من «كمال» وأن تتخذ منه حصنًا لدى والدته، لكنها اصطدمت للمرة الثانية بـ «نهال» التي طالبتها بالابتعاد عن ابنها وعدم الجلوس معه مرة أخرى.

– أنا حذرتك قبل كده بس يظهر إنك مش من النوع المحترم اللي بيسمع الكلام.

أحست «هانم» بالإهانة للمرة الثانية داخل القصر، وعادت إلى بيتها باكية، ولما حضر زوجها حكت له أن «نهال» أهانتها للمرة الثانية.

– معلش.. خلاص هانت يا «هانم» وبكره بتاعنا.

ورغم محاولات «هانم» أن تعرف ما قصد «تبارك» من كلامه.. إلا أنها فشلت في ذلك.. فقررت أن تجلس في بيتها ترعى ولديها وتبتعد عن «نهال» حتى لا تتعرض للإهانة مرة ثالثة.

في هذه الأثناء كانت شركة «مصر» قد ذاع صيتها بين الشركات الأخرى المنافسة وحتى التي تعمل في مجالات أخرى، وبدأ الخوف يدُب في قلوب رؤساء هذه الشركات بسبب قيام رئيس شركة «مصر» بعمل توسعات في شركته وقراره دخول مجالات أخرى ومنافسة الجميع.. وقرروا أن يتخلصوا منه ويبحثوا عن رئيس آخر للشركة ينفذ تعليماتهم ولا يعص لهم أمرًا.

– والرئيس الجديد ده نجيبه منين؟.. وإيه يضمنا إننا بعدما ننصبه رئيس للشركة ما يتقلبش علينا ويعاندنا زي اللي قبله.

واستقر رؤساء الشركات على أن يكون «تبارك» هو رئيس الشركة الجديد.. فهو مُنفذ جيد للتعليمات وموصل جيد للرسائل وليس طماعًا، فالقليل من المال يكفيه وبدأت خطوات تجنيده.

استطاع رؤساء الشركات بمعرفة بعض العاملين لديهم من معرفة نقطة الضعف لدى «تبارك» ألا وهى النساء الجميلات، فأوقعوا إحداهن في طريقه أثناء عودته من الإمارات عقب توصيل رسالة سرية من رئيس شركته لرئيس شركة كبرى في الإمارات.. جاءت جلسة «تبارك» في الطائرة بجوار الفتاة التي يبدو من ملامحها أنها في العشرينيات من عمرها.. يبدو على ملابسها الثراء الفاحش ويبدو من لهجتها أنها لبنانية أو سورية.

- أنا لبنانية.. وعايشة في الإمارات من سنين.. وهادي أول مرة عم بمرق فيها على مصر.. هى صحيح حلوة.. كيف ما عم يحكوا عنها؟.

- إلا حلوة دي أم الدنيا.

- طب إذا بتسمح لو ما في مشكلة بالنسبة لـ «إليك» تساعدني أسكن بأوتيل منيح.

وأعجب «تبارك» بالفتاة التي علم أن اسمها «نادين»، وكانت للأمانة فتاة ساحرة، جعلت لُعاب «تبارك» يسيل عليها، فوعدها أن يساعدها قدر الإمكان.

- أصل أنا مشغول جدًا.. بس علشان عيونك الخضرا دي أنا تحت أمرك.

وحصلت «نادين» على رقم الهاتف الخاص بـ «تبارك» واتفقت معه على الموعد الذي ستتحدث إليه فيه.. وما إن نزل من الطائرة حتى اصطحب ضيفته إلي أحد فنادق مصر الجديدة لتكون قريبة منه.

تحدثت «نادين» إلى «تبارك» في الوقت المحدد، وطلبت منه اللقاء لسؤاله عن بعض الأشياء المهمة، وعندما ذهب إلى الفندق وصعد إلى غرفة «نادين» وجدها تجلس على السرير وهى مرتدية «قميص نوم مكشوف الصدر وقصير يصل إلى فوق الركبة» ورغم محاولات «تبارك» الجادة أن يمسك نفسه بحكم أنه فلاح وأن من واجبه أن يحافظ على ضيوف بلده، إلا أنه لم يتمكن من ذلك.

جلس «تبارك» على الكرسي المقابل للسرير وكان يختلس النظر إلى مفاتن «نادين» من آن لآخر، ولم تحاول أن تفتح هى الكلام بل تركته حتى تعب من كثرة النظر.. ووجدته يهجم عليها.. في البداية لم تمانع وجعلته يقترب أكثر وأكثر وانتقل من مرحلة القبلات إلى الأحضان، وما إن هم بالمرحلة التالية

حتى وقفت «نادين» وأبعدت «تبارك» عنها وتحدثت في لهجة مصرية خالصة.

– إحنا كنا عايزين منك خدمة.. إحنا عارفين إنك نائب رئيس الشركة.. وعارفين كذلك إنك على دراية بكل صغيرة وكبيرة في الشركة.. وإحنا كنا محتاجين منك بعض المعلومات.. وما تخافش اللي هاتعوزه هتاخده.

وحاول «تبارك» أن يتماسك ويترك الغرفة فورًا ويخرج.. إذ كيف يعمل جاسوسًا علي رئيسه الذي اختاره ليكون نائبه.. ولكن ما إن همت «نادين» بارتداء ملابسها حتي خر «تبارك» مُعلناً موافقته على العرض وليقضي مع «نادين» ليلة من ليالي ألف ليلة وليلة.

حاولت «نادين» أن تلبي جميع طلبات «تبارك» في هذه الليلة، فلم ترفض طلبه أن يجمعهما لقاء ثان وثالث في نفس الليلة.. وفي الصباح أعطت «نادين» له ظرفًا بداخله أوراق كثيرة من الدولارات.

اتفقت «نادين» مع «تبارك» على الطريقة التي سينقل بها المعلومات إليهم، وطلبت منه تحركات رئيس الشركة وزياراته والخطط التي يفكر فيها، وقبل أن ينصرف طلبت منه أن يشتري سيارة لنفسه.. لكن بالتقسيط حتى لا يلفت الأنظار إليه.. وأكدت عليه أن تكون السيارة متواضعة حتى لا تُثار الشكوك حوله.

اشترى «تبارك» السيارة واصطحب «هانم» وطفليه «علاء» ابن السنوات التسع و«جمال» ابن السنوات السبع إلى الإسكندرية، وقضوا هناك ثلاثة أيام لم تشعر فيها «هانم» بالسعادة.. فقط شعرت بتغير في سلوك زوجها.

- يمكن يكون الشغل.

- لأ.. ما هو طول عمره بيشتغل.. أنا حاسة إن فيه واحدة في حياته.

حاولت «هانم» ألا تنقل شكوكها إلى زوجها الذي انقلب حاله من التركيز التام إلى السرحان معظم الوقت.. وفي ذات ليلة وبينما «هانم» تتمشى مع «تبارك» على كورنيش المنتزه وإذ بها ترى «فاروق» في وجهها.. لم تعرف ماذا تفعل.. هل تسلم عليه أمام زوجها أم تتجاهله؟.. واكتفت بابتسامة وغمزة من عينها اليسرى أرسلتها له.. وفهم منها أن يتصل بها علي تليفون المنزل.

عادت «هانم» إلى القاهرة وبدأت شكوكها بخصوص زوجها تزداد، خاصة بعد المكالمات الهاتفية الغريبة التي كانت تأتي له، والتي لم تكن تفهم منها شيئاً سوى حاضر.. بكره.. يمكن.. هاشوف.

أيام وتلقت «هانم» اتصالاً تليفونيًا من «فاروق» أخبرها خلاله أنه انتقل للعيش كلية في فرنسا، حيث الحرية والإبداع وأنه حضر للقاهرة في إجازة عدة أيام لإنهاء بعض الأوراق والأمور الشخصية.

- خلاص يبقى لازم أشوفك قبل ما تسافر.

- يبقى هستناكي بكره في الشقة القديمة بتاعتي.

- بلاش بكره.. أصل عندنا حفلة عيد ميلاد الشركة، ومش هاينفع ما أروحش.. خليها بعد بكره.

في اليوم التالي جهزت «هانم» أجمل ما لديها من ملابس وعطور.. لكي تظهر في الحفل أجمل من «نهال» أو حتى على أقل تقدير لا تكن أقل منها أو من زوجات مديري الإدارات المختلفة واللاتي سيرتدين بالطبع أجمل ما لديهن.

أنطلقت «هانم» برفقة زوجها إلى القاعة المخصصة لإقامة الحفل. ووقف زوجها على باب القاعة مع رئيس الشركة لاستقبال المدعوين.. فيما وقفت هى مع «نهال» وزوجات مديري الإدارات.. وفجأة يسمع دوي إطلاق نار كثيف.. ويأتي الصوت: الرئيس اتقتل.





وقف «تبارك» على باب قاعة العزاء لاستقبال الوفود التي حضرت لتقديم واجب العزاء في رئيس الشركة الراحل، ووقفت «هانم» بجوار «نهال» في السرادق الخاص بالسيدات، ورغم ما حاولت «هانم» أن ترسمه على وجهها من ملامح الحزن والتأثر إلا أنها كانت سعيدة لأنها ستصبح هى المرأة رقم 1 في الشركة وستنتقل من الشقة التي عاشت وتزوجت فيها للقصر المخصص لمن يتولى رئاسة الشركة.

بمجرد عودة «هانم» مع زوجها من قاعة العزاء إلى شقتهما المتواضعة في مصر الجديدة، قامت بتجهيز الشنط التي ستأخذها معها إلى القصر، بل طالبته أيضا بأن يذهبا من الصباح إلى القصر لكنه رفض وطلب منها الانتظار حتى ترحل «نهال» إلى منزلها القديم في الجيزة.

مرت الأيام الثلاثة المخصصة للعزاء، وفي مساء اليوم الثالث جلست «نهال» مع «تبارك» في جلسة منفردة توصيه بالشركة وعمالها وموظفيها، وتطالبه بأن يستكمل رحلة كفاح زوجها البطل الذي عانى

كثيرًا حتى يضع اسم الشركة بين أسماء الشركات العالمية، وهى الكلمات التي لم يبال بها «تبارك» كثيرًا ورغم ذلك وعدها بأن يستكمل رحلة النجاح، وأن ينفذ حلم الراحل في توسيع الشركة وزيادة مصادرها وتحسين حالة العمال والموظفين.

في نفس الليلة قامت «نهال» بنقل حقائبها وكل ممتلكاتها الخاصة من القصر وانتقلت للعيش مع ابنها «كمال» في بيت الجيزة.

دخلت «هانم» إلى القصر، ولأول مرة تشعر وهي على بابه أنها ملكة وليس مجرد وصيفة لـ«نهال»، وكان أول قرار اتخذته أن يتم حرق أي متعلقات خاصة بالرئيس الراحل أو زوجته، وتكسير أي صور لهما معلقة على الحائط.

- لازم انتقم منها زي ما كانت بتعمل فيا.

وانطلقت «هانم» في رحلتها الجديدة للانتقام من «نهال» والقضاء على تاريخها وانجازاتها التي قدمتها خلال رئاسة زوجها للشركة، فأهملت المشروعات الخيرية التي كانت قد افتتحتها «نهال» وساهمت في بنائها من أموال الشركة، وقامت بنزع اسمها من على المدارس التي شاركت في تأسيسها، ودأبت على أن تشوه سمعتها في المجتمع خاصة بعدما أصبح كل شيء في الشركة تحت أمرها.

تذكرت «هانم» صديقها «فاروق» والذى كانت ستقابله في اليوم الثاني لمقتل الرئيس، فأرسلت بعض حراس القصر في طلبه، وشعر «فاروق» بخوف كبير، فهى المرة الأولى التي يدخل فيها قصر رئيس الشركة، ولا يعلم سر الزيارة.

بمجرد أن دخل «فاروق» إلى القصر ورأى «هانم» تنزل من على السلم شعر بالراحة والطمأنينة، بل اندفع إليها ليسلم عليها ويقبِّلها كعادته لكنها أبعدت وجهها عنه.

- الوضع دلوقتي مختلف يا «فاروق»... أوعى تعمل كده تاني.. أنا دلوقتي بقيت «الهانم» مرات رئيس الشركة... وكمان إحنا لسه مش عارفين إيه اللي بيحصل هنا في القصر يعني ممكن تكون حركتنا كلها متصورة صوت وصورة.

حاول «فاروق» أن يرسم علامات الجدية على وجهه، وانتظر حتى جلست «الهانم» كما بدأ يناديها ثم اختار لنفسه مقعدًا أمامها.

- شوف يا «فاروق»، أنا عارفة أنك فنان موهوب، وعندك حس عالى، أنا عايزة منك تغير لي ستائر القصر، أصلها قديمة قوي وبلدي... وده اختبار لو نجحت فيه هيكون لك عندي مفاجأة عظيمة.

وبدأ «فاروق» منذ اليوم الثاني عمليات البحث عن ألوان من تلك التي تحبها «الهانم»، ودأب يفكر في تصميمات جديدة ومختلفة لينال بها رضاها، وبعد أسبوعين حضر «فاروق» إلى القصر بعدما حصل على موعد من السكرتارية وقام بإحضار عينات من الأقمشة وبعض الرسومات التي أعجبت «الهانم».

– أنا قلت من البداية إنك فنان... شوف ممكن تبدأ الشغل من أمتى ولما تخلص والشغل يعجب «الباشا»هاقولك على المفاجأة.

وبعد أسبوعين من العمل المتواصل، انتهى «فاروق» من تصميم الستائر وتركيبها، وبالفعل أعجبت «الباشا» وكل زوار القصر، بل من يومها أطلقوا على فاروق لقب «الفنان».

وبعد أيام أعلن «تبارك» عن تغيير في مديري إدارات الشركة والذين تم تعيينهم بمعرفة الرئيس الراحل، وبرر ذلك بأنه يبحث عن دم جديد ورؤية مختلفة لتطوير الشركة، وقد حصل «فاروق» الفنان على منصب «مدير الثقافة والفن» في الشركة. حرصت «الهانم» أن تحتفل مع «فاروق» بأول منصب حكومي ورفيع يحصل عليه في حياته، وتوجهت وفي يدها «بوكيه» ورد إلى الشقة التي يسكن فيها ويتخذها مرسمًا لأعماله، وبمجرد أن فتح الباب انحنى على يديها وقبَّلها، ليفاجأ بها تقبّله وتحتضنه.

– إحنا أصحاب يا «فاروق» من قبل ما ابقى «الهانم».. أنا بس عايزاك تسمع كلامي عشان تفضل في منصبك أطول فترة ممكنة.

– أنا من إيدك دي لإيدك دي.

وانطلقت هانم تخبر فاروق برغبتها في عمل مشاريع ثقافية وفنية تحمل أسمها وتخلد بها طول العمر ... فاقترح عليها فاروق عمل سلسلة كتب تحمل اسمها تطبعها الشركة وتبيعها لأبناء العاملين في الشركة بأسعار مخفضة.

في هذه الأثناء كان «صفوت العفيف» ضابط الأمن السري الذي كلّفه «تبارك» بمتابعة «الهانم» والحفاظ عليها دون أن تعرف، يرصد خطواتها وتحركاتها، وقد استغرب للزيارة التي قامت بها لمنزل «الفنان» والورد الذي اشترته، ووقع في حيرة هل يخبر «تبارك» بذلك في التقرير اليومي الذي يرفعه إليه، أم يسكت؟!.

وفي حركة جريئة وغير متوقعة لكنها غيرت مجرى حياته، قام صفوت بإخبار «الهانم» أثناء جلستها في القصر بزيارتها لـ«لفنان» في منزله.

– أنت بتراقبني ولا إيه؟ وكمان أنت تطلع مين؟.

– أنا «صفوت العفيف»، خدامك وحافظ أسرارك.

لم تعرف «الهانم» بماذا ترد على هذا «العفيف»، فآثرت الصمت، وانتظرت حتى تسمع باقي الكلام الذي كان عبارة عن وصف لطبيعة عمله السابق في جهاز أمني قبل أن يتم فصله لبعض المشاكل، وأخبرها بطبيعة عمله الجديد في الشركة، وأنه المكلف برصد تحركاتها وتقديم التقارير لرؤسائه الذين سيقدمونها إلى زوجها في النهاية.

ورغم عدم شعور «الهانم» بأي راحة ولا طمأنينة تجاه «العفيف»، إلا أنها قررت أن «تجرّبه»، وترى إن كان سيصلح ليكون لها عيناً أم لا؟، وطلبت منه «هانم» أن يعرفها بدروب القصر وأسرار الشركة وخبايا الموظفين الكبار، ووعدته في حالة نجاحه ستكافئه بمكافأة لم يكن يتوقعها.

وبدأ «العفيف» يرصد تحركات الموظفين الكبار في الشركة وأخبار زوجاتهم ماذا يفعلون ومع من يتقابلون؟!، وكانت «الهانم» تزداد إعجاباً كل يوم بمهاراته وقدرته الفائقة على جمع المعلومات، وكانت تعجب أكثر بالقصص التي يحكيها لها عن علاقة زوجة فلان بخادمها، وزوجة فلان التي تقابل عشيقها في شقته بالزمالك، وقررت «هانم» أن تكافئ صفوت فطلبت من زوجها أن «ينعم» عليه بإدارة «الإعلام».

– جرى إيه يا «هانم».. إنتي ناوية تتحكمي في الشركة وأنا موجود.

– دول هما اتنين بس اللي ليا في الشركة، وكمان أنا سايبالك باقي الإدارات تعمل فيهم اللي أنت عايزه، وبعدين صدقني ده في مصلحتك... «صفوت» اللي بقولك عليه ده داهية، هاينفعك إنك تثبت رجلك في الشركة وهايعرفك كل اللي بيفكر مجرد تفكير أنه يأذيك.

وانطلقت «هانم» بعد أن اطمأنت أن هناك من يحميها تنفذ حلم والدها بأن تصبح دكتورة أو مهندسة، فتقدمت بأوراقها للدراسة في الجامعة الأمريكية التي قدمت لها شهادة التخرج دون أن تحضر أو تمتحن، ثم حصلت على الدكتوراة، وبدأت تنفذ مشروعات للقراءة وإنشاء المكتبات على نفقة الشركة، كما بدأت في الوقت نفسه عمل بعض المشروعات الخيرية لتغطي على ما كانت تفعله «نهال» زوجة الرئيس الراحل للشركة.

حاولت «الهانم» أن تستمتع بما وصلت إليه من عز ورفاهية وسلطة، فانطلقت تلف العالم وتزور بلدانها المختلفة، لندن، موسكو، جنوه، روما، باريس، التي استقرت بها لأسبوعين بعد أن أجرت عملية تجميل هناك.

12

منذ أصبح «تبارك» رئيسًا للشركة وتغيرت طباعه، وكان شكله الخارجى وذكاؤه المحدود ونشأته الغريبة قد جعلت منه شخصًا غير اجتماعي وغير سوي إذ تملكت منه صفات حاول كثيرًا أن يخفيها مثل عشقه لذاته وكرهه للآخرين، كما بدأت تظهر عليه صفات جديدة كرغبته في الانتقام من الجميع وتعذيبهم وإتعاسهم وإيلامهم بسبب أحداث وتجارب مؤسفة مر بها وهو صغير، كما أنه يتوجس فيهم شرًا ويشك في نواياهم.

ومثلت مشكلة الشكل الخارجي لـ«تبارك» عقبة كبيرة إذ كان يشعر بأنه «قبيح» وأن الفتيات لن ترضين به، وعلى ذلك قام بإجراء بعض عمليات التجميل سرًا بالخارج حتى يتخلص من شعوره بالقبح ويصبح أكثر جاذبية للنساء واشتملت العمليات تجميلا للشفتين وتصغير حجم الأنف وتجميل استدارة الذقن.

***

وبدأ «تبارك» يبحث عن المتعة، لا لشيء سوى أن يثبت لنفسه أنه «مرغوب» وأن النساء الجميلات يرغبن فيه لجماله وشخصه وليس لكونه رئيس الشركة.

ولم تكن لـ«تبارك» أى علاقات نسائية بخلاف زوجته و«نادين» التي جندته ليشارك في عملية اغتيال رئيسه، قبل أن يصبح نائبًا لرئيس الشركة وقبل أن يتعرَّف على «زكريا نظمي» الذي أثر بصورة سيئة على شخصيته وتصرفاته اللاحقة.

وكان المقدم «زكريا نظمي» يعمل مديرًا لمكتب «حسين كامل» كبير الأمناء برئاسة الشركة أيام رئيسها السابق لكن عندما تولى «تبارك» المنصب حدث تصادم بينهما وقام بتجنيد «زكريا» ليتجسس على رئيسه وتمكن «تبارك» بالمعلومات التي وفرها له «زكريا» من الإطاحة بـ«حسين» ليصبح منصب كبير الأمناء ملكاً لـ«زكريا».

أصبح «زكريا» أكثر المقربين من «تبارك» وأفراد عائلته الذين لا يثقون فى غيره فهو كاتم أسرارهم الوحيد وخادمهم المطيع المخلص، وفي نفس الوقت منفذ رغبات «تبارك».

ولكي يُحْكِم «زكريا» سيطرته على «تبارك» بدأ محاولات مستميتة للحصول على رضاه وبأي شكل فكان يجلب له سرًا نسوة بعضهن من الساقطات اللاتي يلتقطهن من الشارع وبعضهن من الفنانات وبعضهن من القاصرات ليرضى عنه.

وفي الإسماعيلية تزوج «تبارك» للمرة الثانية لكن كانت الزيجة سرًا خوفاً من زوجته وحرصًا على مستقبل أولاده، فبينما كان «تبارك» يقوم بجولة في أحد فروع الشركة بالإسماعيلية تقابل مع فتاة جميلة.. أنيقة.. اقترب منها وسألها عمن تكون فأجابت بصوت يملؤه الرقة والحنان...

- أنا «حنان عمارة».. مهندسة جديدة هنا في الشركة.

وابتسم لها «تبارك» ثم أدار وجهه إلى «زكريا» وغمز له بعينه اليسرى، ثم انطلق في طريقه مكملاً جولته في الشركة.

وبمجرد انصراف «تبارك» قام «زكريا» بالحصول على بيانات «حنان» وطلب أن تتصل به في مقر الشركة بالقاهرة لأمر مهم، ومر يوم واثنان ولم تتصل «حنان»، وطلب «تبارك» «زكريا» ليسأله عما فعل؟!.

- حالاً يا فندم تكون عندك.

وانطلق «زكريا» بسيارته إلى الإسماعيلية وتوجه إلى العنوان الذي ذكرته له «حنان»، وأحضرها معه في السيارة بدعوى وجود أمر مهم لابد أن تناقشه مع الرئيس.

وفي إحدى غرف القصر حاول «زكريا» أن يقدم حنان كوجبة دسمة لـ«تبارك» إلا أنها رفضت ذلك وتعاملت مع «تبارك» بنوع من التكبر، موضحة أنها وإن كانت ابنة أناس فقراء إلا أن شرفها هو أغلى ما تملك.

– إن كنت صحيح عايزني وبتحبني زي ما بتقول ... يبقى نتجوز

وانصرفت «حنان» عائدة إلى الإسماعيلية مرة أخرى، وجلس «تبارك» مع «زكريا» يبحث عن حل للحصول على هذه الفتاة التي قالت له: «لا»، وقد أشار عليه «زكريا» أن يتزوجها إن كان فعلاً يريدها.

– إنت أهبل... دي «الهانم» لو عرفت تهد الدنيا على دماغنا كلنا... مش طالبة مشاكل معاها.

يا ريس مش لازم تتزوجها رسمي وقدام الناس... نخليه زواج عرفي ونشوف لها شقة نضيفة في إسماعيلية وسيادتك تروح لها من وقت للتاني.

– وتفتكر توافق على الحكاية دي.

– سيب الموضوع ده عليّ.

وانطلق «زكريا» يجمع كل المعلومات المتاحة عن حنان وأسرتها ونشأتها، وقد هاله إصرار تلك العائلة الغريب على النجاح واعتزازهم بكرامتهم رغم أصلهم المتواضع، وتوصل إلى شقيقها «عبد النعيم» وطلب منه الحضور إلى رئاسة الشركة في القاهرة لأمر عاجل.

- إحنا اخترناك تكون محافظ الشركة في إسماعيلية ... إيه رأيك؟.

- ده شرف عظيم ليا يا فندم.

وانطلق «زكريا» بعد تسلم «عبد النعيم» لمهام عمله كمحافظ للشركة يمارس عليه بعض الضغوط ليوافق على زواج شقيقته من رئيس الشركة، وبالفعل تم الزواج واشترى «تبارك» شقة فاخرة لحنان كتبها باسمها وانتقلت للعيش فيها، وكان يذهب إليها مرة أسبوعيًا أو مرتين حسب طبيعة العمل.

وشعرت «هانم» بأن زوجها على غير عادته، فقد عادت إليه حيويته ونشاطه، وبدأ يسافر كثيرًا إلى الإسماعيلية، وشعرت أن أمرا ما يحدث من وراء ظهرها، فكلفت «صفوت العفيف» أن يعرف لها الحكاية.

- الباشا متجوز يا «هانم».

لم تحتمل «هانم» الصدمة وسقطت مغشيًا عليها، فقام «صفوت» بحملها إلى غرفتها ووضعها على سريرها وانتظر بجانبها حتى فاقت، وحاولت «هانم» أن تتحدث أو أن تفعل أي شيء، إلا أن «صفوت» بادرها بضرورة الجلوس مع «تبارك» وإرغامه على إنهاء هذه العلاقة فورًا قبل أن ينتج عنها «أولادًا»، وتهديده إما أن يفعل ذلك وإما أن تفضحيه في كل مكان.

وتذكر «هانم» أن «العفيف» أثناء تهدئتها كانت يديه تقع على مناطق حساسة في جسدها، مما جعلها تفكر في رد الصاع لزوجها وإقامة علاقة مع «العفيف»، فاستسلمت له، وتركت له جسدها يعبث به كيفما يشاء، بينما كان عقلها مع زوجها ومع هذه الزوجة الجديدة التي ربما تنازعها في ملكها.

استجاب «تبارك» لضغوط «الهانم» وقام بتطليق «حنان» التي عاش معها أجمل أيام حياته، ولكي يأمن نفسه فقد أعطى لشقيقها منصبًا جديدًا في إحدى الإدارات التابعة له والقريبة منه في القاهرة، كما أعطى لـ«حنان» كل ما طلبته من أموال وضمانات بألا يتعرض لها رجاله.

قرر «تبارك» منذ ذلك الحين أن تكون كل علاقاته النسائية عابرة، مجرد ليلة يقضيها للمتعة وللترويح عن نفسه.

لم تكد حكاية زواج «تبارك» من «حنان عمارة» تنتهي حتى دخل في علاقة جديدة، فبينما يجلس ذات ليلة ليشاهد نشرة التاسعة وإذ به يرى مذيعة جميلة وأنيقة في ملابسها ويفوح منها سحر الأنوثة، وعندما سأل «زكريا» عنها اخبرها أن اسمها «أماني» وأنها من أنشط مذيعات التليفزيون.

- خلاص يا «زكريا» خليها تعمل حسابها تغطي شغل الشركة ومفيش مانع تيجي معانا في الزيارات وافتتاحات فروع الشركة الجديدة.

ابتسم «زكريا نظمي» ابتسامة صفراء ممتلئة بالمكر والخبث، فقد علم أن الفتاة قد دخلت مزاج «تبارك» وأنه يرغب أن يقيم معها علاقة من نوع ما، وهذه هي مهمته الترويح عن الرئيس.

بدأت «أماني» علاقتها مع «تبارك»، وكثرت زياراتها له، لدرجة جعلت من في الشركة يتحدثون عن طبيعة هذه العلاقة التي تجعل هذه المذيعة دون غيرها ممن يحضرون لمكتب الإعلام تأتي يوميًا، وتنفرد بالجلوس مع رئيس الشركة بالساعات. وزاد الطين بلة بعد ان نشرت إحدى الصحف الصفراء صورة لرئيس الشركة برفقة هذه المذيعة، لتستشيط «هانم» غيظاً ولتطلب من «صفوت» التصرف وإخفاء هذه المذيعة.

وفي هذه الأثناء كان «علاء» نجله الأكبر يسير على خطى والده، إذ كثرت علاقاته النسائية وذاع صيته في أوساط الطبقات الراقية أنه لا يترك أي فتاة يعجب بها إلا بعد أن ينال منها مراده.

وانتشرت هذه الحكايات في أوساط العاملين والجيران، حتى إن الصحافة قد بدأت تلمح إلى علاقة ابن رئيس الشركة مع الممثلة المشهورة والتي رفضت إقامة علاقة غير شرعية معه فرماها من بلكونة الدور الخامس.

- وأنتي شايفة نعمل إيه يا «هانم» في الواد ده... أنا خلاص مبقتش عارف اشتغل من فضايحه وجريه وراء الستات.

- من شابه أباه... هو جايبه من بره.

- ده تربيتك يا ست هانم .. أنتي اللي دلعتيه وعودتيه أن اللي يطلبه يلاقيه... وبعدين مش وقته.. خلينا في المهم... أنا شايف أننا نجوزه جايز ربنا يهديه شوية.

وانطلقت «هانم» تبحث عن زوجة مناسبة لابنها، لكن كيف ستخبره بذلك، لابد أن يأتي الأمر وكأنه صدفة، وتذكرت «هانم» «هاندي» الفتاة التي رأتها في حفل زفاف إحدى زوجات مديري الإدارات، وتذكرت شعرها الكستنائي الناعم وجمالها الخلاب... ولكن كيف ستقدمها لابنها؟!.

وطلبت «هانم» من صديقها ومستشارها المقرب«صفوت العفيف» أن يرتب صدفة ليلتقي علاء بـ«هاندي»، وبالفعل كانت الصدفة في العجمي، حيث كانت «هاندي» مع أسرتها تقضي إجازة نهاية العام، وذهب «علاء» مع بعض أصدقائه للاستجمام وقد رآها تجلس على البلاج.

حاول «علاء» أن يتعرف عليها فرفضت، وظل يطاردها لأسبوع كامل حتى استجابت في النهاية، بعدما أخبرها أن «قصده شريف» وأنه يريد تحديد موعد لمقابلة والدها لخطبتها.

لم يوافق «تبارك» أن تكون هناك فترة خطوبة، فأبناء المسئولون الكبار لا يجعلون أنفسهم عرضة لكلام الصحف خاصة الصفراء التي بدأت تنتشر هذه الأيام، وعلى الفور تم تحديد موعد الزفاف بعد شهر.

ما إن انتهى «تبارك» من زواج ابنه حتى عاد لما كان عليه واستغرق في البحث عن ملذاته، يحاول أن يسرق من الزمن لحظات سعادة وفرح تخرجه من جو العمل الذي يحيط به من كل ناحية، خاصة بعد كبر زوجته وانشغالها بمشاريعها الخيرية.

ولاحظ رجال الحراسة المكلفون بتأمين قصر «تبارك» حضور سيدة أنيقة في منتصف العشرينيات للقصر من آن لآخر، وظلوا يتساءلون عمن تكون تلك السيدة التي تفوح منها رائحة العطور الفرنسية، والتي يشاهدونها تدخل من بوابات القصر الخلفية؟!، في البداية ظنوا أنها إحدي مبعوثات الدول الأجنبية فقد كان «زكريا نظمي» يستقبلها بنفسه في أحيان كثيرة.

ولم تكن تلك السيدة سوى «رنا يعقوب» التي شاهدوها فيما بعد على «سي دي» فاضح تمارس الجنس مع رجل الأعمال الشهير «عصام أبوالفتوح»، كانت «رنا» تحمل طموحات كبيرة وتملك قوة داخلية غير عادية جعلتها تدخل المغامرات الكبرى، فقد نشأت وسط عائلة ارستقراطية فقدت الكثير من ثرواتها ولم يتبق لها سوى العديد من العلاقات والصداقات مع شخصيات كبيرة.

وتعرفت «رنا» علي رجل أعمال شاب وطموح أيضا هو «ماجد يعقوب» وارتبط اسماهما معاً منذ زواجهما، لكن التعثر المالي الذي واجه «ماجد» كثيرا جعله يفقد الكثير من وجوده وسط الصفوة من كبار رجال الأعمال في مصر، وكانت «رنا» في تلك الأثناء تسعي بكل ما تملك كي تسانده وتنقذه من السقوط، وقررت أن تقاتل من أجله ومن أجل مستقبلها الذي حرصت على تأمينه وحمايته من أي أعاصير، فلن تقبل بالعيش في مستوى أقل من أحلامها.

وتعرفت «رنا» بحكم علاقاتها وعلاقات عائلتها بالعديد من الكبار في مصر حتى وجدت نفسها تجلس على مائدة مع«زكريا نظمي»، وبسرعة كبيرة نجحت «رنا» في أن تلفت نظر رئيس الديوان بذكائها الحاد، وجمالها الزاعق، وتكررت الجلسات حتى وجَّه إليها دعوة لاستقبالها في القصر.

لم تصدق «رنا» تلك المفاجأة وراحت تحلم وتتخيل تفاصيل اللقاء في القصر، وراودتها أحلام بأن يتم منح زوجها منصبًا كبيرًا أو يتم إسناد مهمة كبيرة إليها، لكن المفاجأة كانت غير ذلك... دخلت «رنا» القصر من باب خلفي ولم تكن تعلم أن ذلك الباب خلفي، فبدأ الخوف يتسرب إليها حتى سمعت ضحكات وأصواتا كثيرة في صالون الاستقبال، ووجدت جلسة كبيرة تضم عددًا كبيرًا من سيدات المجتمع الراقي وبعض الشخصيات الغامضة التي لم يسبق لها أن شاهدت واحدا منهم، وفور دخولها قام «زكريا» بنفسه واستقبلها وبدأ في تعريف الحضور بها، وقبل أن تدق الساعة الحادية عشرة مساء كانت الجلسة تنفض تقريبًا وبدأ«زكريا» في توديع الضيوف واحدا وراء آخر، وعندما جاء الدور على «رنا» طلب منها أن تبقى قليلاً.

وبعد انصراف الجميع جلست «رنا» في حالة خوف وترقب مع «زكريا» والذي تحول إلى شخصية جادة وصارمة جدًا..

– بصي يا «رنا».. أنتي ما جيتيش هنا ولا شوفتي حد هنا.. أوكيه.

– طبعا يا فندم ومن غير سيادتك ما تقول..

وضحك «زكريا» وطلب منها أن تنتظر تليفونه قريبًا لقضاء سهرة أخرى.

ولم تنتظر «رنا» كثيرًا فقد جاءها من يطلب منها الاستعداد لمقابلة الباشا الكبير في أقرب وقت، وبالفعل جاءت سيارة فارهة واستقلتها إلى القصر، وكانت تلك الليلة هى المفاجأة الكبرى، فلم تسمع «رنا» الأصوات التى سمعتها المرة السابقة، وكانت صالة الاستقبال مغلقة، وبدأ الخوف والرعب يملك قلبها، حتى جاء «زكريا» واستقبلها ضاحكاً، وأخذها إلى جناح آخر داخل القصر، وطلب منها أن تنتظره لمدة ثوانٍ أمام إحدى الغرف، وخرج وهو يقول لها:

– اتفضلي الريس بنفسه هنا.

كادت «رنا» تسقط مغشيًا عليها وهى تجد رئيس أكبر شركة في مصر الذي تظهر صوره في الصحف والمجلات يجلس أمامها في وقار مرتديًا ملابسه الرسمية، وتزايدت حيرتها وتخوفاتها، وسلمت عليه وقلبها يرتجف، فضحك «تبارك» وطلب منها أن تهدأ وتجلس.

جلس الثلاثة «تبارك وزكريا ورنا» وسألها «تبارك» عن زوجها وعن حياته، وقال لها: إنه يأتي إلى هذا المكان ليستريح قليلا من أعباء العمل ويعيش لحظات صفاء تبعده عن التوتر الدائم، وأكد «زكريا» على كلامه بأن تلك تعليمات كبار أطباء العالم لرؤساء الشركات الكبيرة والذين يتحملون مسئوليات جسام.

انتهت الجلسة الأولى سريعًا، ولم يحاول خلالها «تبارك» الاقتراب من «رنا» واكتفى بإطلاق بعض النكات والقفشات الضاحكة على مسامعها، ومن بعدها بدأت «رنا» تعتاد زيارات القصر، واستراح لها «زكريا» خاصة أنها لا تزعجه بالطلبات كما أنها ووفق تقارير المتابعات لا تتحدث ولا تنطق بكلمة، وهو المطلوب منها، لذلك قرر أن يكافئها وأن يفتح الأبواب المغلقة أمام زوجها رجل الأعمال «ماجد يعقوب» وبدأ يدخل نادي كبار رجال الأعمال في مصر.

بدأت «رنا» تستعيد أيام المجد القديم، ومضت كل الأمور في طريقها المرسوم، فقد كانت تقوم بزيارة كل شهر تقريبًا إلى القصر تجالس «الرئيس» وتشاهد معه أحد الأفلام أو يستمع معها إلى إحدي أغنيات أم كلثوم، وأحيانا كانت تقدم له وصلة رقص قصيرة، يجمعهما بعد ذلك السرير الذي أعده «زكريا» بنفسه.

لم يبال زوج «رنا» بالأمر خاصة بعدما فتح الله عليه، وزادت استثماراته وأعماله، بل إنه كان يطالبها بالمزيد من التوسع في علاقتها مع «تبارك».

ولأن دوام الحال من المحال فقد جمعت «رنا» سهرة بحضور زوجها «ماجد» مع رجل الأعمال ذائع الصيت «عصام أبو الفتوح»، وكانت المرة الأولى التي يرى فيها «عصام رنا»، وقد أعجب بها جدًا وتبادل معها الابتسامات والضحكات وفي نهاية السهرة تبادلا أرقام التليفونات.

تعددت لقاءات «رنا» و«عصام» حتى أصبح لا يحتمل بعدها عنه، واستجابت «رنا» لإعجاب «أبوالفتوح» بها، ومع الأيام تحولت إلى قصة حب عنيفة جعلت «أبوالفتوح» يغارعليها حتى من زوجها «ماجد يعقوب»، ووثقت فيه «رنا» ثقة كبيرة وصارحته بأهم أسرار حياتها وأخبرته بعلاقتها بـ«تبارك»، وذات ليلة كان «عصام» ينتظرها على العشاء لكنها تأخرت كثيرًا وغابت عنه لمدة شهر كامل دون أن يعرف أين هي؟!، حتى جاءته وهي تعتذر، لكن الغيرة كانت قد سيطرت عليه فربطها واعتدي عليها وجلدها وضربها ضربًا مبرحًا.

على الفور ذهبت «رنا» تبكي لـ«زكريا» وهي في حالة انهيار كامل وأبلغته بحقيقة علاقتها مع «عصام» وبما جرى لها على يديه، فطمأنها.

– ما تقلقيش يا «رنا»... كل حاجة هتبقى تمام.

وعلى طريقة الخادم الأمين توجه «زكريا» إلى «هانم» وأخبرها بأن «تبارك» على علاقة بسيدة متزوجة وأنه يخاف عليه لكنه لا يستطيع أن يمنعه، واستغربت «هانم» من المعلومات التي أخبرها بها «زكريا» هل يحبها فعلاً ويخاف على زوجها لدرجة إفشاء أسراره؟ أم أن هناك شيئاً ما قد حدث بينهما هو الذي جعله يفشي سره؟!، ولماذا يصر «تبارك» نفسه على خيانتها؟!، ولماذا يصمم على استعمال غريزته مع كل الجميلات، لكنها قررت هذه المرة أن تستعمل عقلها وأن تقضي على غريمتها في هدوء.

– وأنت شايف ممكن نعمل إيه يا «زكريا» في الحكاية دي؟!.

– أنا شايف يا «هانم» إننا نسرب علاقة البنت دي بعشيقها «عصام أبو الفتوح» ونسيب زوجها يخلص عليها، وكمان نقرص له ودنه عشان يبقى يعرف يختار ستات محترمة مش ستات تدور على حل شعرها.

وما هى إلا أيام وكانت فضيحة «عصام ورنا» على سيديهات يتم بيعها على الأرصفة بخمسة جنيهات، ليقوم زوجها «ماجد» بتطليقها ويؤجر عليها من يقتلها.



13

أنجبت «هاندي» زوجة «علاء» أول أطفالها، وسموه «محمد»، وقد ملأ الصغير البيت بالبهجة التي اختفت منه في ظل زحمة الحياة والجري وراء الأموال من قبل «الهانم»، ووراء النساء الفاتنات من قبل «تبارك».

- أظن بقى يا «حسين» كفاية بقى جري ورا الستات، أنت خلاص بقيت جد وأنا سبتك كتير بس بجد خلاص مبقتش قادرة اتحمل... وكمان عايزين نفكر في مستقبل الولاد .. نأمن لهم مستقبلهم.

واستمع «تبارك» إلى نصيحة زوجته وترك الجري وراء الستات، وركَّز في الجري وراء المال، فحاول أن يستفيد من الشركة ومشروعاتها قدر الإمكان، وقام بفتح أكثر من حساب له في عدد من البنوك داخل مصر وخارجها، ولم تكن «الهانم» أقل منه ذكاءً ولا حبًا للأموال فقد كدَّست ملايين الجنيهات في حساباتها البنكية في سويسرا ولندن، كما اشترت مجموعة من الأراضي والعقارات باسمها في لندن وباريس ودبي.

عامان وأنجبت «هاندي» طفلها الثاني، وزادت سعادة الأسرة التي لم يعد يشغل بالها سوى جمع المال والاستفادة من كل موارد الشركة قدر الإمكان، وأصاب قدوم الطفل الثاني «الهانم» بنوبة تفكير إذ إن ابنها الثاني «جمال» مازال مضربًا عن الزواج حتى الآن.

وبعد محاولات مضنية معه وافق على الزواج بشرط أن تختار له والدته العروسة كما اختارت لشقيقه من قبل، ووضع بعض المواصفات لتختار على أساسها كأن تكون غنية، وأبنة ناس، وألا يكون جمالها ملفتاً... وبالفعل وجدتها الهانم، وتزوج «جمال»، وأنجبت زوجته ابنته الأولى، وبدأت والدته تفكر في تأمين أكبر لمستقبلهم جميعًا، ليس بالمال فقط، لكن بالسلطة والنفوذ والحكم.

- إيه رأيك يا «تبارك» لو خليت حد من الولاد «علاء» ولا «جمال» يمسك الشركة بعدك.

- شركة إيه اللي يمسكها يا «هانم»، أنتي فاكراها شركة أبويا .. دي قطاع عام يعني بتاعة الشعب وما ينفعش فيها توريث، وكمان ولادك الاتنين مش متعينين في الشركة.

لم تقتنع «الهانم» بكلام زوجها، وبدأت بالفعل خطوات ظهور نجلها «جمال» على الساحة بعدما رفض «علاء» الذي آثر العيش بعيدًا عن الأضواء، واستعانت «الهانم» برجلها المخلص «صفوت العفيف»، وبرجل زوجها المخلص «زكريا نظمي» واللذين رسما لها خطة التوريث بذكاءٍ عالٍ.

ظل «تبارك» على موقفه الرافض للتوريث، وإن كان في قرارة نفسه يتمنى أن يخلفه ولده حتى لا يفضح بعد موته، لكنه كان خائفاً من هجوم الشعب أو مسئولي الشركة عليه.

وأراد الله أن يرسل إنذاراً إلى تبارك وأسرته بأن يكفوا عن التجبر في الأرض والفساد فيها، فجاء خبر وفاة «الحفيد» ليمثل صدمة للجميع، وكان أول من أصيب بها «تبارك» الذي ابتعد عن الجميع وترك الشركة وأمورها لـ«لهانم» ورجالها يديرونها كيفما يشاءون، وعاش هو مع أحزانه وحفيده الذي كان كل حياته.

لم تبال «الهانم» كثيرًا بوفاة الحفيد، ورغم تأثرها وحزنها الذي أستمر عدة أيام إلا أنها أفاقت بسرعة منتبهة أن «الحي أبقى من الميت» فبدأت تأخذ خطوات جادة لتوريث ابنها رئاسة الشركة، في نفس الوقت الذي كان رئيس الجمهورية يعد ابنه لخلافته في حكم مصر.

ولأن الرياح عادة ما تأتي بما لا تشتهي السفن فقد قامت ثورة 25 يناير وأطاحت بالرئيس «تبارك» وأسرته ورجاله من على حكم مصر، واستكملها شباب التحرير بثورة أخرى على الفساد في المؤسسات والصحف الوزارات، فبدأت عملية تطهير واسعة لتلك المؤسسات وعزل الفلول منها، وكان أول المعزولين هو «تبارك» رئيس الشركة وأسرته.

أيام قليلة من عزل «تبارك» وبدأت الاتهامات والفضائح التي ارتكبها خلال فترة رئاسته للشركة والتي استمرت ثلاثين عاماً تتضح وتخرج إلى النور، وكانت «الهانم» أيضًا متورطة بمشروعاتها التي كانت تقيمها من أموال الشركة، والتي كانت تضع نصف ما يصرف لها في حسابها البنكي وتنفذ المشروع بالنصف الآخر.

وجاء قرار المستشار «عاصم النهري» بحبس «الهانم» 15 يومًا على ذمة التحقيق في اتهامها بالتربح من عمل زوجها كرئيس للشركة وتضخم ثروتها واستغلال نفوذ زوجها في تسهيل الإستيلاء على المال العام ليمثل لها مفاجأة لم تكن تتوقعها.

ودخلت «الهانم» السجن للمرة الأولى في حياتها، وانزوت في ركن بعيد، وأعادت شريط ذكرياتها منذ كانت طفلة، وتذكرت «سمير» شقيقها وكيف كان يغار منها ويقسو عليها، و«يوسف» حبيبها الذي تركها تنزف وهرب، و«علاء» الذي بهرها بأخلاقه وأنقذها من الغرق، و«حسام» الذي أحبها فعلاً ووقف بجانبها وساعدها، و«تبارك» الذي تزوجته وهى لا تحبه، و«فاروق» الذي ليس له في النساء،

و«صفوت» الذي كثيرًا ما عوّضها عن انشغال زوجها، وفي النهاية فوجئت بوالدها يقف أمامها.

- مش قلت لك يا «هانم»... ارضي باللي ربنا قاسمه ليكي علشان تعرفي تعيشي مبسوطة وسعيدة وإلا هاتفضلي طول عمرك تعبانة.

نظرت «هانم» حولها فلم تجد أحدًا في غرفة الحجز، فسقطت دموعها على خديها وصرخت:

- يارتني كنت سمعت كلامك يا «بابا».

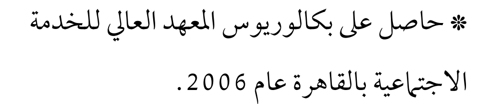
--------------- انتهى ---------------

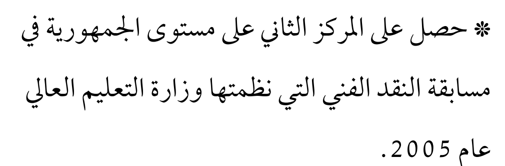
نبذة عن المؤلف


* محمد إبراهيم طعيمة.




* مواليد محافظة الشرقية في 1 يونيو 1985.


* حاصل على بكالوريوس المعهد العالي للخدمة الاجتماعية بالقاهرة عام 2006.


* حصل على المركز الثاني على مستوى الجمهورية في مسابقة النقد الفني التي نظمتها وزارة التعليم العالي عام 2005.


* تم تتويجه الطالب المثالي للفرقة الرابعة بالمعهد.

* عمل بمجال الصحافة منذ عام 2004 وهو مازال طالباً بالفرقة الثانية بالمعهد وشارك بكتاباته في عدة مجلات منها «روتانا» و «كل الناس» و «لها» و «سيدتي» و «المرأة اليوم».

* شارك كذلك بالكتابة في عدد من الصحف اليومية والأسبوعية منها «الدستور» و «الموجز» و «البيان الإماراتية».

* له مشاركات كبيرة في عدد من المواقع الالكترونية الإخبارية

منها [illegible].

* يقوم بالكتابة حالياً في بوابة الوفد الإلكترونية.

عضو نقابة الصحفيين الإلكترونيين وأحد المؤسسيين لها.

* من شباب ثورة 25 يناير وقضى 15 يوماً معتصماً في ميدان التحرير حتى تنحى

الرئيس السابق، وهناك جاءته فكرة الكتاب.

* له مجموعة قصصية جاهزة للنشر قريباً.

* للتواصل:

Mheltaea@gail.com